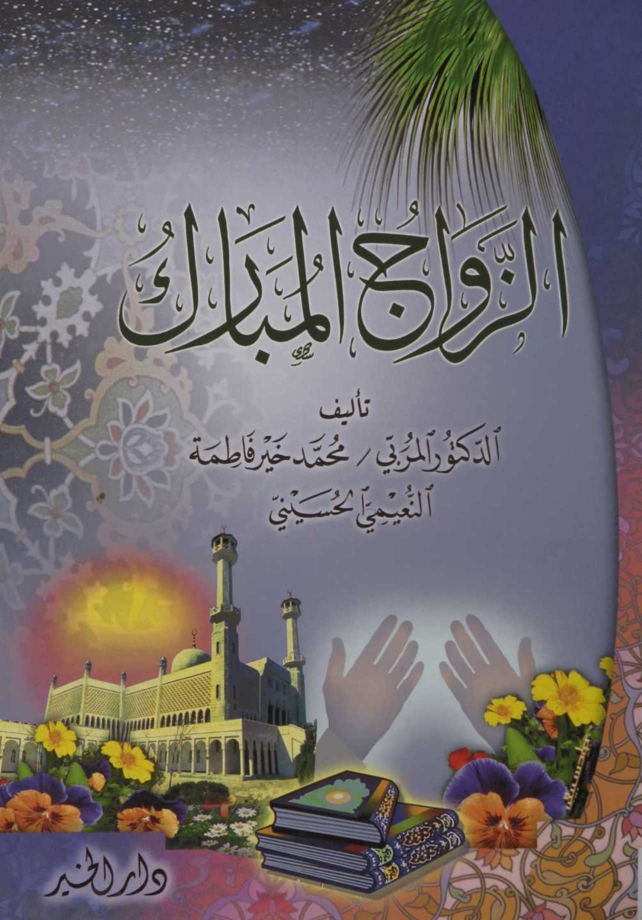


الزواج المبارك
تأليف
الدكتور المربي / محمد خير فاطمة
النعيمي الحسيني
دار الخير


الزواج المبارك

الطبعة الأولى

١٤٣١هـ / ٢٠١٠م



للمراسلة :

بيروت - لبنان	دمشق - سورية
فردان - جنوب سيّار الدرك - بناء الشامي	حلبوني - جادة الشيخ تاج
هاتف : 01/810571 تلفاكس : 01/865697	هاتف المكتب: 011/2245822 فاكس: 011/2222694
الرمز البريدي : 1103/2060 ص.ب : 113/5630	هاتف المكتبة: 011/2228074 ص.ب: 13492

E mail: ali@daralkhair.com

Website: www.DarAlkhair.com



تأليف

الدكتور المربي / محمد خير فاطمة

النعيمي الحسيني

دار الخير

قال الله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

[الروم: ٢١].

من دعاء رسول الله ﷺ في ليلة زفاف ابنته فاطمة من علي رضي الله عنهما:

«اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما».

[أخرجه ابن سعد «٢١/٨»، وذكر في جامع الأحاديث ج٦، ص٢٢١].

الإهداء

* إلى كل شاب وشابة، مسلم ومسلمة، يحب كل منهما اختيار شريك حياته ضمن توجيهات القرآن الكريم، وإرشادات النبي ﷺ، وبما يسعده في الدنيا والآخرة.

* إلى كل زوج وزوجة يسعيان لحياة زوجية مثالية موفقة مباركة، ويرغبان في السلوك السليم في العلاقة الزوجية، ليعيشا عيشة هانئة، تتحقق فيها المودة والمحبة، ويصلان بها إلى السكينة المقصودة من الزواج المبارك، مبتعدين عن الأسباب التي تؤدي إلى النفور والغضب والخلافات الدائمة والوصول إلى مالا يحمد عقباه.

* إلى كل زوج وزوجة يجد كل منهما ومع مرور الأيام أنه غير مطمئن في زواجه وغير مرتاح وغير مسرور، ويفكر في أسلوب يغير به هذه الحياة القلقة المستمرة في ذلك ليسمو به إلى الأفضل، ويجد الحلول المناسبة لجعل هذا الزواج زواجاً مباركاً موفقاً وسعيداً، قائماً على السكينة، محققاً المودة والمحبة.

* إلى كل هؤلاء أهدي كتابي هذا ليجدوا فيه ما يحقق أمانيهم ورغباتهم، سائلاً الله عز وجل القبول، راجياً ممن يقرؤوه الدعاء.

المؤلف

د. محمد خير فاطمة

النعيمي الحسيني



المقدمة

الزواج في الإسلام عقد مبارك بين الرجل والمرأة، يحل به كل منهما للآخر، ويبدأان به رحلة الحياة الطويلة، متحابين متعاونين متآلفين متسامحين، يسكن كل منهما إلى الآخر، فيجدان فيه السكينة والأنس والأمن والطمأنينة ولذة العيش، وقد صور القرآن الكريم هذه العلاقة الشرعية السامية بين الرجل والمرأة تصويراً رائعاً شفيفاً، تشيع فيه ندى المحبة والألفة والثقة والتفاهم والرحمة، ويفوح منه عبير الود والسعادة والبهجة والنعيم فقال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

هكذا يجب أن يكون الزواج الإسلامي المبارك، يحمل في طياته تحقيق الفطرة السليمة، وتحقيق السكينة والمودة والرحمة بين الزوجين، ويسعى إلى كامل السعادة والسرور والطمأنينة والحب بينهما.

ولكن الدعاة والمربين في هذا الزمان يصدمون مما يسمعون عن الخلافات الشديدة بين الزوجين، وعن حوادث الطلاق المتعددة والكثيرة التي ظهرت في هذا العصر بين الشباب المؤمن، فكان لا بد من توعيتهم لتحقيق الزواج الإسلامي المثالي المبارك، ومعرفة خطوات دوامه واستمراره بشكل متكامل ضمن توجيهات الكتاب والسنة وأقوال العلماء والدعاة المربين وتجاربهم، ونصحهم في ذلك، فكان لا بد لي ككاتب إسلامي، ومرب لجيل الشباب، ومهتم بجيل الصحوة، ومشارك لهم في شؤون حياتهم، وملجأ لهم في معاناتهم، أن أقدم للشباب والفتيات كتاباً يوضح الطريق ويبين الحقائق، ويرسم خطوات النجاح لهم في طريق الزواج الإسلامي المثالي المبارك.

أرجو من الله أن أوفق لتحقيق الغاية وتحقق الفائدة المطلوبة فيما كتبته، والله ولي التوفيق، ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

كتبه

المربي د. محمد خير فاطمة

النعيمي الحسيني

❑ ❑ ❑

الفصل الأول

حكم الزواج في الإسلام

أولاً ـ الزواج في الإسلام مستحب ومندوب:

لأنه سنة من سنن النبي ﷺ وذلك لمن وجد السعة في المال، والصحة في البدن، وليأمن على نفسه من اقتراف ما حرمه الله من الفاحشة، متيقناً أنه لن يسيء إلى من سيتزوجها، فالزواج في هذه الحال مندوب ومباح، له فعله وله تركه، ولكن الزواج أولى من التخلي للعبادة ونحوها، إثباتاً لسنة رسول الله ﷺ كما في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: «جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي ﷺ يسألون عن عبادته، فلما أخبروا بها كأنهم تقالوها «أي وجدوها قليلة» فقالوا: أين نحن من رسول الله وقد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، «فقال أحدهم: أما أنا فإني أصلي الليل أبداً، وقال الآخر: أما أنا فأصوم الدهر ولا أفطر، وقال آخر: وأنا أعتزل النساء، فلا أتزوج» فجاء رسول الله ﷺ إليهم فقال: «أنتم قلتم كذا وكذا؟ أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له، ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

[أخرجه البخاري ومسلم وغيرهما عن أنس رضي الله عنه].

ومعنى قوله: «فمن رغب عن سنتي» أي: فمن أعرض عن طريقتي مخالفاً ما أفعله أنا فليس مني، أي: ليس من أهل الحنيفية السمحة السهلة، لأنه شدد على نفسه بما لم يؤمر به وكلف نفسه مشقة وحرجاً والله سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

ثانياً ـ الزواج في الإسلام واجب وفريضة:

فعند عامة الفقهاء إذا تيقن الإنسان الوقوع في الزنا لو لم يتزوج، وكان قادراً على نفقات الزواج من مهر ونفقة على الزوجة، وأداء حقوق الزوجة الشرعية، ولا يستطيع الاحتراز من الحرام، فيجب عليه الزواج لأنه يلزمه إعفاف نفسه وصونها عن الوقوع في الفاحشة.

ثالثاً: الزواج في الإسلام حرام:

إذا تيقن أنه سيظلم الزوجة أو يضربها، بأن كان عاجزاً عن تكاليف الزواج، غير عادل إن تزوج بزوجة أخرى، لأن ما يؤدي إلى الحرام فهو حرام لقوله تعالى:

﴿وَلْيَسْتَعْفِفِ ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا حَتَّىٰ يُغْنِيَهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [النور: ٣٣].

يقول الإمام القرطبي: فمتى علم الزوج أنه يعجز عن النفقة الزوجية أو صداقها أو شيء من حقوقها الواجبة عليه، فلا يحل له أن يتزوج بها حتى يبين لها، وكذلك يجب على الزوجة إذا علمت من نفسها العجز عن قيامها بحقوق الزوج، أو كان بها علة تمنع الاستمتاع بها كمرض أو غيره أو داء في الفرج لم يجز لها أن تستره وتخفيه وعليها أن تبين ما بها.

[تفسير القرطبي (١٥٣/٣)].



الفصل الثاني

أهداف المؤمن من الزواج

لا يقدم أي إنسان في هذه البسيطة على عمل إلا وله أهداف يسعى لتحقيقها، والمؤمن ذكراً كان أو انثى يطلب الزواج لأهداف ربانية لا لأهداف حيوانية وأهم هذه الأهداف ما يلي:

أولاً ـ الاستجابة لأمر الله ورسوله:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٤].

فالزواج استجابة لأمر الله حيث يقول سبحانه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

واستجابة لأمر نبيه ﷺ الذي يقول: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج، فإنه أغض للبصر، وأحصن للفرج، فمن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء»** [أخرجه مسلم عن ابن مسعود].

وقد بين النبي ﷺ أن الزواج من سنته وقال: **«فمن رغب عن سنتي فليس مني»**. [أخرجه الجماعة متفق عليه عن أنس رضي الله عنه].

ويقول ﷺ: **«من كان موسراً لأن ينكح ثم لم ينكح فليس مني»**.
[أخرجه الطبراني والبيهقي عن أبي نجيح].

ثانياً ـ لتحقيق السُكنى في النفس:

وهي من جملة الأهداف التي وضعها الإسلام للزواج، قال تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

والسكن هذا ليس المقصود به سكن الشهوات العارمة، والعواطف الثائرة، بل هو سكن سر القلق في كيان الإنسان، هذا السر الذي يشعر المرء معه بفراغ يجب أن يملأ، ونقص يجب أن يكمّل، وعجز وافتقار ووحشة يجب أن يلتمس لها العون والاستغناء والأنس.

نعم إنه السكن والاطمئنان الروحي.

أرأيت إلى رسول الله ﷺ حين يجتمع عليه الكرب والهم والحزن مما يلاقي من عذاب ومحنة وهو يدعو الله عز وجل، تراه إذا عاد إلى زوجه خديجة رضي الله عنها أفضى إليها بما يملأ أغوار نفسه، وما يلاقيه من هوان وعذاب، فتجلس قربه ﷺ وتسليه وتذهب عنه همومه وأحزانه، وتجعله ينسى ما يلاقيه في سبيل الله من بلاء وامتحان.

لذلك لما توفيت رضي الله عنها حزن عليها ﷺ حزناً شديداً.

ثم إن الإسلام من شدة تعظيمه لهذه الرابطة ـ رابطة الزواج ـ وإعلاء لشأنها فإنه عدها معادلة لشطر الدين ونصف الإيمان فقال رسول الله ﷺ: «إذا تزوج العبد فقد استكمل نصف الدين فليتق الله في النصف الثاني».

[أخرجه البيهقي].

ثالثاً ـ الاستجابة للفطرة التي فطر الله الناس عليها:

فالإسلام حين يجعل للزواج هذه المنزلة العظيمة إنما يخاطب بذلك الفطرة السليمة فطرة الله التي فطر الناس عليها.

والزواج هو أحد نواميس هذا الكون، قال تعالى:

﴿وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الذاريات: ٤٩].

فالرجل بفطرته التي فطره الله عليها يميل إلى المرأة، والعكس صحيح.

لأن هناك فجوات روحية ومادية في طبيعة كل من الزوجين، هذه الفجوات لن يملأها إلا ذلك السر الذي يكنه كل منهما للآخر.

والله عز وجل قد فطر الإنسان على غرائز وطبائع لا يستغني فيها عن الإلف جسدياً ونفسياً، وجعل تحقيق تلك الحاجات عن طريق الزواج.

فالله عز وجل قد خلق مع الإنسان، ذكراً كان أم أنثى شهوة كامنة ولولا هذه الشهوة لما فكر أحد في الزواج، ولما دفعه ذلك إلى البحث عن امرأة، ولذلك جعل الله الزواج بدافع الغريزة والشهوة، ولم يتركه لرغبة الناس من شاء منهم تزوج ومن شاء ترك، بل جعل الزواج من الحاجات الضرورية كالطعام والشراب لتتم الإرادة الأزلية ببقاء النوع الإنساني. فقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ﴾ [النساء: ١].

ومن هذا القبيل قول امرأة عوف بن محمد الشيباني وهي توصي ابنتها: لو كان الزواج للطعام والشراب، لكنت أولى في بيت أبيك، فأبوك غني ولا داع لأن يزوجك، لكن الرجال للنساء خلقوا، ولهم خلق النساء:

﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ [النساء: ١].

رابعاً ـ من أجل العفة عن الحرام وغض البصر وحفظ الفرج، والتحصن عن الزنا وسائر الفواحش:

فأفضل سبيل للشباب والشابات في حفظ أنفسهم من الوقوع في المعاصي هو الزواج وخاصة في هذا العصر الممتلىء بالشهوات والهوى وتحريك الغرائز وإثارتها، وهذا ما أرشد إليه النبي ﷺ فقال: **«يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة ـ تكاليف الزواج والقدرة عليه ـ فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فليصم فإن الصوم له وجاء»** [متفق عليه].

(أي وقاء من الوقوع في ذلك).

وفي الزواج تحقيق لأمر الله الذي يقول سبحانه:

﴿ قُل لِّلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا۟ مِنْ أَبْصَـٰرِهِمْ وَيَحْفَظُوا۟ فُرُوجَهُمْ ﴾ [النور: ٣٠].

ويقول سبحانه: ﴿ وَقُل لِّلْمُؤْمِنَـٰتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَـٰرِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا ۖ وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ ۖ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ ﴾ [النور: ٣١].

خامساً ـ طلب للولد الصالح:

المؤمن يسعى للزواج وهو يرغب في إنجاب الولد الصالح الذي يبقى أثره وذكره في الدنيا ويبقى عمله الصالح بدعاء ولده له بعد مماته.

والقرآن الكريم يشير إلى هذه الغاية بقوله سبحانه:

﴿ وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً ﴾ [النحل: ٧٢].

كما أن النبي ﷺ أشار إلى أهمية هذا الهدف فقال:

«تناكحوا تناسلوا تكاثروا فإني مباهٍ بكم الأمم».

[أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم عن معقل بن يسار].

وقال ﷺ:

«تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة».

[أخرجه أبو داود].

ولقد تحدث الغزالي في إحيائه عن فوائد النكاح فقال:

الفائدة الأولى الولد: وهو الأصل، وله وضع النكاح، والمقصود إبقاء النسل، وألا يخلو العالم من جنس الإنس، وإنما الشهوة باعثة مستحثة.

والإنسان بفطرته الطبيعية التي فطره الله عليها يحب الأولاد والذرية، لأن الله تعالى زين للناس حب الولد كما قال تعالى:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ ﴾ [آل عمران: ١٤].

والإنسان يحب بفطرته أيضاً الولد لأن الله تعالى جعل البنين زينة الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿ ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الكهف: ٤٦].

ويشير حجة الإسلام الإمام الغزالي لهذه المعاني فيقول رحمه الله: وفي التوصل إلى الولد قربة من أربعة أوجه:

الأول: موافقة محبة الله تعالى بالسعي في تحصيل الولد لإبقاء جنس الإنسان.

الثاني: طلب محبة رسول الله ﷺ في تكثير من يباهي بهم الأمم يوم القيامة.

الثالث: طلب التبرك بدعاء الولد الصالح.

الرابع: طلب الشفاعة بموت الولد الصغير إذا مات قبله.

وأخيراً: فإن الزواج هو من سنن الأنبياء والمرسلين، الذين هم الأسوة والقدوة لسائر البشر، وحين اعترض المشركون على الرسول الأعظم محمد ﷺ وطعنوا في نبوته ورسالته لأنه تزوج بالنساء، نزل القرآن الكريم، ليبين أن هذه هي سنة من قبله من الأنبياء فقال سبحانه وتعالى:

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾ [الرعد: ٣٨].

وفي الحديث الشريف يقول ﷺ:

«أربع من سنن المرسلين: الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح».

[أخرجه الترمذي والإمام أحمد عن أبي أيوب الأنصاري].

وقال ﷺ:

«حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلاة».

[أخرجه الحاكم].



الفصل الثالث

خطوات الزواج المبارك

أولاً ـ حسن الاختيار بين الزوجين:

قال الله تعالى:

﴿ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَـٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِۦ فِى نَارِ جَهَنَّمَ ﴾ [النساء: ١٠٩].

كل ما لا يقوم على أساس متين ينهار وأهم بناء في الحياة الزواج.

والقاعدة الأساسية الرئيسة ليكون الزواج ناجحاً متكاملاً مثالياً هي حسن الاختيار وقد أشار النبي ﷺ لهذه القاعدة الهامة فقال ﷺ:

«النكاح رق فلينظر أحدكم أين يضع كريمته». [أخرجه البيهقي].

وحسن الاختيار بين الزوجين لبعضهما يجب أن يكون على أساس قول الله عز وجل:

﴿ وَٱلطَّيِّبَـٰتُ لِلطَّيِّبِينَ وَٱلطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَـٰتِ ﴾ [النور: ٢٦].

وليكن حسن الاختيار موفقاً يجب أن يكون وفقاً لإرشادات القرآن الكريم والسنة المطهرة في ذلك.

وليكون الزواج ناجحاً مباركاً كان على الشاب أن يحسن اختيار زوجته وكذلك ينبغي للفتاة أن تحسن اختيار زوجها.

ولنساعد كلاً من الزوجين على اختيار شريك حياته، نذكر حسن الاختيار فيما بينهما:

أ ـ حسن اختيار الزوج للزوجة:

إن أول خطوة في الزواج الإسلامي المبارك المستديم الذي يحقق السكنى والمودة والمحبة التي يبينها الله عز وجل في قوله:

﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

هي: حسن اختيار الزوج للزوجة.

١ ـ الاختيار على أساس الدين:

وذلك بالبحث عن الفتاة ذات الدين القويم، والسيرة الحسنة، والصلاح التام، والالتزام بكتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وهذا ما أرشدنا إليه النبي ﷺ في قوله: «**تنكح المرأة لأربع لمالها ولحسبها ولجمالها ولدينها، فاظفر بذات الدين تربت يداك**». [متفق عليه].

وتربت يداك: كلمة تفيد الحث والتحريض، والدعاء له بكثرة المال والبركة، فصار المعنى: اظفر بذات الدين ولا تكتفي بذات المال وغيره يوفقك الله ويكثر مالك ويسعدك في الدنيا والآخرة.

وذات الدين التي أشار إليها النبي ﷺ، هي الزوجة الصالحة، هي الكنز الحقيقي، الذي يدخره الرجل في دنياه وآخرته، فقد روى عبد الله بن عمرو ابن العاص رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال:

«**الدنيا متاع، وخير متاعها المرأة الصالحة**».

[أخرجه مسلم وابن ماجه وغيرهما].

وعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله**» [أخرجه ابن ماجه].

وفيما ورد في قوله تعالى:

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ حَسَنَةً ﴾ [البقرة: ٢٠١].

قول العلماء حسنة الدنيا: المرأة الصالحة، وحسنة الآخرة الجنة.

عن ابن عباس قال: لما نزلت هذه الآية:

﴿ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلۡأَحۡبَارِ وَٱلرُّهۡبَانِ لَيَأۡكُلُونَ أَمۡوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡبَٰطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۗ وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٖ ﴾ [التوبة: ٣٤].

قال: كبر ذلك على المسلمين فقال عمر: أنا أفرج عنكم فانطلق فقال: يانبي الله إنه كبر على أصحابك هذه الآية فقال ﷺ: **«إن الله لم يفرض الزكاة إلا ليطيب ما بقي من أموالكم وإنما فرض المواريث لتكون لمن بعدكم»** قال: فكبر عمر ثم قال له رسول الله ﷺ: **«ألا أخبرك بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة إذا نظر إليها سرته وإذا أمرها أطاعته وإذا غاب عنها حفظته»**.

[أخرجه أبو داود].

وعن ثوبان: أن أصحاب رسول الله ﷺ قالوا: قد ذم الله سبحانه الذهب والفضة فلو علمنا أي المال خير حتى نكسبه فقال عمر: أنا أسأل لكم رسول الله ﷺ فسأله فقال:

«لسان ذاكر وقلب شاكر وزوجة تعين المرء على دينه».

[أخرجه الترمذي وقال حديث حسن].

هذا وقد زاد النبي ﷺ هذه المعاني وضوحاً وتفصيلاً فقال: **«من تزوج امرأة لعزها لم يزده الله إلا ذلاً، ومن تزوجها لمالها لم يزده الله إلا فقراً، ومن تزوجها لحسنها، لم يزده الله إلا دناءة، ومن تزوج امرأة لم يرد بها إلا أن يغض بصره، ويحصن فرجه أو يصل رحمه بارك الله له فيها وبارك لها فيه»**

[أخرجه الطبراني في الأوسط عن أنس رضي الله عنه].

وفي هذا يقول سفيان بن عيينة: من طلب العز في المرأة ابتلي بالذل، ومن طلب فيها المال ابتلي بالفقر، ومن طلب الدين، جمع الله له العز والمال مع الدين.

ولما كان المال ظلاً زائلاً ودوره في بناء الأسرة أمراً ثانوياً، بل قد يكون سبباً للطغيان، ودور الجمال والحسب أمراً كمالياً قد يكون سبباً للردى،

أمرنا النبي ﷺ بأن نختار ذات الدين حتى وإن كانت سوداء فيقول ﷺ:

«لا تنكحوا النساء لحسنهن فعسى حسنهن أن يرديهن، ولا تنكحوهن على أموالهن، فعسى أموالهن أن تطغيهن، وانكحوهن على الدين، فلأمة سوداء خرماء ـ أي مشقوقة الأذن ـ ذات دين أفضل».

[أخرجه ابن ماجه والبيهقي عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنه].

فهذا إرشاد مهم من النبي ﷺ على الاهتمام بذات الدين لذلك ينبغي للمسلم أن يسعى في زواجه لأن تكون زوجته في الدرجة الأولى ذات دين يرضى الله عنه.

أما الاهتمامات الأخرى من حسب ونسب ومال وجمال فيجب أن يجعل اهتمامه بها بعد الدين فإن جمعت كلها أو بعضها مع ذات الدين فذلك الكمال الإنساني، والمنحة الربانية، والفضل الإلهي.

علماً أن الإسلام وإن كان كما مر معنا لا يقيم وزناً للقيم المادية فإنه مع ذلك لا ينكرها ولا يهملها كل الإهمال.

ففي حديث المغيرة بن شعبة أنه خطب امرأة فقال النبي ﷺ له:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما». [متفق عليه].

ومعلوم أنه بالنظر لا يعرف الخلق والدين والمال، وإنما يعرف الجمال من القبح، وقال ﷺ:

«إن في أعين الأنصار شيئاً فإذا أراد أحدكم أن يتزوج منهن فلينظر إليهن»

[أخرجه مسلم عن أبي هريرة].

نعم إن الإسلام لا ينكر ذلك وإنما الذي ينكره الإسلام ويحذر منه هو أن تصرف هذه القيم المادية ـ من مال، أو جمال، أو منصب، أو حسب، أصحابها عن ملاحظة ما قد يكون معها من مساوىء الدين وسوء في الخلق، كما هو شأن أغلب الناس في هذه الأيام فهم لا يقيمون وزناً للخلق الكريم، والدين السليم، بقدر ما يقيمونه للمال والطين.

وهنا لابد أن نذكر أن من أهم حسن الاختيار وخاصة في موضوع ذات الدين النظر في دين الأسرة وأخلاقها بين جميع أفرادها، من أب وأم وإخوة

وأخوات وأقارب. . . ، هل يرتادون المساجد؟ عند من تلقوا دينهم؟ ما هو مقدار التزامهم بدينهم؟ وذلك من خلال السؤال عنهم وتحري ذلك من الأقارب والأصدقاء والجيران وأهل الثقة، ثم بالزيارات والمعرفة المباشرة في طريقة التعامل بعضهم مع بعض واحترام كل منهم للآخر، وطريقة كلامهم ومخاطبتهم وملابسهم واجتماعاتهم العائلية، وما يجري فيها من نقاش وحوار، وفي استشارة أهل العلم والدين فيهم، وسؤالهم عنهم وعن ارتيادهم لمجالسهم وصحبتهم لهم أهمية كبرى، ومعرفة عظمى، وغير ذلك.

٢ ـ الاغتراب في الزواج:

دعا الإسلام إلى الاغتراب عند الزواج بتفضيل الغريبات عن القريبات وذلك حرصاً على قوة النسل وسلامة الأبناء من العاهات الوراثية، والأمراض السارية. لأن الاستمرار في الزواج بين ذوي الأرحام يؤدي إلى ضعف الأجسام وخمول الأذهان، في حين أن الغرائب من النساء أولد للنجباء من الأولاد الأصحاء في الأجسام والأبدان والعقول.

فقد روي عن النبي ﷺ قوله: «اغربوا لا تضووا». أي انكحوا الغرائب ـ أي الغريبات ـ كيلا تضعف أولادكم، وهذا الحديث ذكره ابن قتيبة في غريب الحديث والماوردي في أدب الدنيا والدين، وهو حديث ضعيف.

[عن فتاوى الشبكة الإسلامية (٥/ ٨١٢٥)].

وقال عمر لآل السائب: «قد أضويتم فانكحوا في النوابغ».

[أخرجه إبراهيم الحربي وقال: يعني تزوجوا الغرائب].

وقد قال القاضي الحسين: «لا تنكحوا القرابة فإن الولد يخلق ضاوياً».

أي نحيفاً ضعيف الجسم، سقيم العقل، بليد الفهم والتركيز، هذا ولقد أثبت العلم الحديث صحة هذه الوصية، بل أثبت معجزة النبي الأمي ﷺ الذي تلقى علمه عن العليم الخبير سبحانه وتعالى.

ولكن يجب أن نعلم أن الاغتراب توجيه ووصية نبوية وليست تحريماً للزواج من الأقارب، فمن وجد أنه من المناسب الزواج من إحدى قريباته لأي سبب كان فله ذلك، والله الموفق.

فهذا الموضوع ليس قطعياً فقد زوج النبي ﷺ ابنته فاطمة رضي الله عنها من ابن عمه علي كرم الله وجهه، وكان هذا الزواج ناجحاً ميموناً، لم يرَ مثله أبداً، وكان من وراء هذا الزواج ذرية صالحة، سبطي رسول الله ﷺ الحسن والحسين رضي الله عنهما.

٣ ـ تحري الودود الولود العؤود:

دعا الإسلام الشباب المسلم أن يتحروا في زواجهم المرأة الودود الولود التي ليس لديها من الأعذار أو الأمراض ما يمنعها من الحمل والولادة، والتي تتوفر فيها سلامة الصحة وكمال البدن ما يرجح استعدادها لأداء رسالة الأم على أكمل وجه وأحسن صورة، وغالباً ما يمكن معرفة استعداد البنت في هذه الناحية بالقياس إلى أمها فإن كانت ولودة كانت البنت في الغالب كذلك.

جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال له يا رسول الله: إني أحببت امرأة ذات حسب ومنصب ومال إلا أنها لا تلد أفأتزوجها؟ فنهاه ثم أتاه ثانية فقال له مثل ذلك؛ ثم أتاه ثالثة فقال له ﷺ:

«تزوجوا الولود الودود فإني مكاثر بكم الأمم».

[أخرجه أبو داود والنسائي والحاكم عن معقل بن يسار].

وقال ﷺ: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة؟ الودود الولود العؤود، التي إذا ظلمت قالت: هذه يدي في يدك، لا أذوق غمضاً حتى ترضى».

[أخرجه الديلمي في الفردوس وهو حديث ضعيف، وأخرجه القضاعي في الشهاب واللفظ له].

٤ ـ تحري صفات أهل بيت الزوجة وبخاصة الوالدين والأخوة:

فقد رضعت البنت لبان ذلك منهم، والبنت على دين أهلها وأخلاقهم وصفاتهم؛ وقد وجه النبي ﷺ لذلك فيما رواه أبو سعيد الخدري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «إياكم وخضراء الدمن»، قالوا وما خضراء الدمن يا رسول الله؟ قال: «المرأة الحسناء في المنبت السوء». وخضراء الدمن: عشب المزابل. [أخرجه الديلمي في الفردوس وهو حديث ضعيف، وأخرجه القضاعي في الشهاب واللفظ له].

فكان توجيه النبي ﷺ لمن أراد أن يختار زوجته أن يبتعد عن المرأة الجميلة التي لا دين لها والتي قد تفتخر بجمالها ولينظر إلى أصالتها وشرفها، فإن كانت جميلة نبتت في أصل منحرف بعيد عن الإسلام فينبغي له ألا يفكر فيها ولا يعلق قلبه بها وأن يبتعد عنها، مهما كان جمالها بارعاً مغرياً، وإلا سيأتي عليه وقت سيندم كثيراً في وقت لا يفيده الندم.

لذلك يجب تحري أرومة الأصل، وأصالة الشرف، والصلاح والطيب، روت السيدة عائشة رضي الله عنها مرفوعاً:

«تخيروا لنطفكم فإن العرق دساس».

[أخرجه ابن ماجه والدارقطني والحاكم وابن عدي].

وعنها أيضاً مرفوعاً:

«تخيروا لنطفكم، فإن النساء يلدن أشباه إخوانهن وأخواتهن».

وفي رواية:

«اطلبوا مواضع الأكفاء لنطفكم، فإن الرجل ربما أشبه أخواله».

[أخرجه ابن عدي وابن عساكر].

وقال رسول الله ﷺ:

«تزوجوا في الحجر الصالح فإن العرق دساس».

[أخرجه ابن عدي في الكامل مرفوعاً].

فهذه الأحاديث بمجموعها ترشد راغبي الزواج أن يختاروا زوجاتهم اللواتي نشأن في بيئة صالحة، وانحدرن من أصل كريم، وجدود أمجاد.

ولعل السر في هذا حتى ينجب الرجل أولاداً كراماً مفطورين على معالي الأمور، ومتخلقين بأخلاق الإسلام، يرضعون منهن لبان الفضائل، ويكتسبون من توجيههن خصال الخير، ومكارم الأخلاق.

وانطلاقاً من هذا المبدأ أوصى عثمان بن أبي العاص الثقفي أولاده في تخير النطف، وتجنب عرق السوء، فقال: يا بني الناكح مغترس، فلينظر امرؤ حيث يضع غرسه، والعرق السوء قلما ينجب، فتخيروا ولو بعد حين.

وتحقيقاً لهذا الاختيار أجاب عمر الفاروق رضي الله عنه عن سؤال وجهه إليه أحد الأولاد ولما سأله: ما حق الولد على أبيه؟ قال عمر: أن ينتقي أمه، ويحسن اسمه، ويعلمه القرآن.

قال أحد المربين المطلعين على أحوال الأزواج مرشداً الأزواج إلى أفضل الانتقاء:

«لا تنكحوا من النساء ستة: لا أنَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حداقة، ولا براقة، ولا شداقة».

ولما سئل عن هذه النساء فقال:

- الأنَانة: هي التي تكثر التشكي والأنين، وتعصب رأسها كل حين.

- المنانة: التي تمن على زوجها فتقول له: فعلت لأجلك كذا وكذا.

- والحنانة: التي تحن إلى زوج آخر، أو ولدها من زوج آخر، وتكثر التحدث عنهما بمناسبة وبدون مناسبة.

- والحداقة: التي ترمي إلى كل شيء بحدقتها فتشتهيه، وتكلف الزوج شراءه.

- والبراقة: التي تمضي معظم وقتها في تصقيل وجهها وتزيينه ليكون لوجهها بريق محصل بالصنع، وتهمل كل واجباتها الأخرى.

- والشداقة: المتشدقة الكثيرة الكلام والتي تتدخل فيما يعنيها أو لا يعنيها.

فما على راغبي الزواج إلا أن يحسنوا اختيار زوجاتهم إن أرادوا أن يكونوا موفقين في زواجهم، وإن استهدفوا أن تكون لهم ذرية صالحة، وسلالة طاهرة، وأبناء مؤمنون.



ب ـ حسن اختيار الزوجة للزوج:

ليست الفتاة المسلمة سلعة تباع وتشرى، وليست معدومة الرأي مسلوبة الحرية تؤمر فتطيع، لقد أعطى الإسلام لها الحرية والرأي والاختيار ولكنه وجهها إلى الطريق السليم وخاصة في موضوع اختيار الزوج.

١ ـ الاختيار على أساس الدين: فقد وجه النبي ﷺ لذلك بقوله:

«إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد عريض». [رواه ابن ماجه والترمذي وابن حبان والحاكم].

وقد وجه الصحابة والتابعون وجميع المربين والدعاة والعلماء إلى هذا الاختيار، جاء رجل إلى الحسن بن علي رضي الله عنهما فقال: خطب ابنتي جماعة فمن أزوجها؟ قال: زوجها من التقي، فإنه إن أحبها أكرمها، وإن أبغضها لم يظلمها.

وقال الشعبي رحمه الله: من زوج ابنته من فاسق فقد قطع رحمها.

فأي فتنة أعظم من أن تجد الفتاة الطيبة نفسها بين براثن فاسق لا يرقب فيها إلاً ولا ذمة، ولا يقيم للشرف معنى ولا للكرامة وزناً، إن مصير هذه الفتاة ولا شك هو أن تفقد دينها وإن هي استمرت في حياتها الزوجية، أو أن تفقد دنياها إذا آثرت سلامة الدين ورضاء رب العالمين.

أية فتنة أعظم على المرأة الصالحة من أن تقع في عصمة زوج إباحي فاجر، يكرهها على السفور والاختلاط، ويجبرها على احتساء الخمرة والمحرمات، ومرافقة الرجال، ويقسرها على التفلت من ربقة الدين والأخلاق.

فكم من فتاة مسلمة ـ ويا للأسف ـ كانت في بيت أهلها مثالاً للعفة والطهر، فلما انتقلت إلى بيت إباحي وزوج متحلل فاجر، انقلبت بتأثيره وإغرائه وتسلطه إلى امرأة متهتكة مستهترة لا تقيم لمبادىء الفضيلة أية قيمة، ولا لمفهومات العفة والشرف أي اعتبار.

إذن فالاختيار على أساس الدين والأخلاق من أهم ما يحقق للزوجين سعادتهما الكاملة، وللأولاد تربيتهم الفاضلة، وللأسرة شرفها الأصيل، واستقرارها المنشود.

والآباء الصالحون أشد الناس حرصاً على تزويج بناتهم من أصحاب الدين والخلق، لذلك نجد الكثير منهم يعرض ابنته على من يراه مناسباً لها في دينه وخلقه وكفاءته.

وفي قوله سبحانه: ﴿ قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ ﴾ [القصص: ٢٧].

إخبار عن الرجل الصالح الذي يعرض ابنته على موسى لما وجد فيه من إيمان وقوة وأمانة ودين وأخلاق فاضلة.

وفي الآية إشارة إلى عدم خجل الآباء أو تحرجهم وترددهم في عرض بناتهم على من يستحقونهنّ.

ولقد كان الآباء من الصحابة يعرضون بناتهم على عهد رسول الله ﷺ على من يجدونه كفأً لهن ودون النظر إلى الحالة المادية فالمهم عندهم الخلق والدين، وعلى ذلك سار التابعون والعلماء والصالحون وأولياء الله، فليس في ذلك عيب ولا حرج ولا تردد لأن ذلك من صلب الدين وقواعده السليمة.

وبقراءة للتاريخ نجد أمثال ذلك كثيرة، نذكر منها تزويج سعيد بن المسيب ابنته من تلميذه الفقير أبي وداعة بعد أن رفض تزويجها للوليد بن الخليفة عبد الملك بن مروان!!.

وكُنّا نظن أن هذا الأمر لا يتكرر، لكن الحقيقة هي ما يلي: الذي صنع سعيداً هذا هو قادر على أن يصنع غيره، وإلى أن تقوم الساعة، ذلكم هو الدين الحنيف دين الله الخالد، وقد تكررت هذه القصة مرة أخرى:

أبو الفوارس شاه شجاع الكرماني، لما زاد في الملك زهد فيه، ودخل في طريق القوم، (الصوفية) خطب ابنته بعض الملوك فلم يزوِّجها منه، وطاف في المساجد، فوجد فقيراً يحسن صلاته، فقال أبو الفوارس: ألك زوجة؟ قال: لا.

قال: هل لك في زوجة جميلة تقرأ القرآن الكريم؟!.

فقال الرجل: لكني رجل فقير، لا يزوجني أحد.

قال أبو الفوارس: أما تقدر على درهمين؟ قال: بلى.

قال: فاشتر بدرهم خبزاً وبدرهم طيباً، فقد تمَّ الأمر.

ففعل الرجل ذلك، فزوجه بابنته، فلما دخلت ابنته بيت الرجل الفقير، رأت قرصاً من الخبز فرجعت إلى الوراء!!.

فسألها الرجل عن سبب رجوعها فقالت ـ ما معناه ـ: إني لا أرضى أن أبيت على معلوم، فإما أخرجه، وإلا خرجت!.

فلما أخرج الرغيف طابت نفسها، فاستقرت عنده...

[من مرآة الجنان وعبرة اليقظان لعبد الله بن أسعد المكي: ١/١٨٧].

وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة حية لحرص الأولياء على الانتقاء على أساس الدين لبناتهم فلذات أكبادهم، ولو لم يملك الزوج المقومات الأخرى للزواج.

فقد خطب بلال وصهيب من بيت ذي حسب ونسب، ومال وجمال، فزوجوهما لصحبتهما رسول الله ﷺ، ومكانتهما الإسلامية، ولأخلاقهما ودينهما، دون النظر لفقرهما وحالتهما السابقة.

«قال بلال: أنا بلال وهذا أخي صهيب، كنا ضالين فهدانا الله، وكنا مملوكين فأعتقنا الله، وكنا عائلين فأغنانا الله فإن تزوجونا فالحمد لله، وإن تردونا فسبحان الله، فقالوا: بل تتزوجان والحمد لله، فقال صهيب لبلال: لو ذكرت مشاهدنا وسوابقنا مع رسول الله ﷺ، فقال: اسكت، فقد صدقت فأنكحك الصدق». [إحياء علوم الدين ج٥ الصفحة ٣٩].

الفتاة المؤمنة واعية مثقفة لا تقيم للمظاهر الزائفة، والمادة الفانية، والجاه المستعار، والمنصب الكاذب، أي وزن إذا وزن بالدين، فمقصدها الأول صاحب الدين وما يكون معه من أمور أخرى دائمة فهو خير على خير.

وليس معنى هذا أن تهدر المرأة المسلمة جمال الشكل وحسن الهيئة،

وترضى بالقبح والدمامة، وقماءة المظهر، أو ترضى بمن لا مال له ولا عمل ولا مسكن، فمن حقها أن تظفر بالرجل الذي يملأ نفسها، ويرضي أحاسيسها ومشاعرها، في شكله ومضمونه على السواء، فهي تريد أن تزف إلى رجل تعتز بقوامته عليها، وتفرح باقترانها به، ولا تساورها ندامة على زواجها منه، إنها تريد رجلاً تضع يدها في يده، لينطلقا يؤديان رسالتهما في الحياة في بناء الأسرة المسلمة، وتنشئة الأجيال الطاهرة، وتربية العقول والقلوب والمشاعر المنفتحة، ولا تباين في الأمزجة، ولا اختلاف في الطبائع، ولا تضارب في الأفكار والدين.

وهي كذلك لا تجعل همها في غلاء مهرها لأنها ليست سلعة تباع وتشرى، ولا تعتبر عقد الزواج صفقة تجارية، فإذا خطبها صاحب الدين رضيت به ولو كانت قدرته على دفع المهر ضعيفة، تردد قول الله عز وجل:

﴿ وَأَنكِحُوا۟ ٱلْأَيَـٰمَىٰ مِنكُمْ وَٱلصَّـٰلِحِينَ مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَآئِكُمْ ۚ إِن يَكُونُوا۟ فُقَرَآءَ يُغْنِهِمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٣٢].

المؤمنة تنظر إلى شريك حياتها نظرة ربانية، لا كما ينظر الناس إلى مظاهر متعددة متذكرة حديث النبي ﷺ الذي رواه سهل فقال: مر رجل على رسول الله ﷺ فقال: «ما تقولون في هذا»؟! قالوا: «حريٌّ إن خطب أن يُنْكح، وإن شفع أن يُشَفَّع، وإن قال أن يستمع»، فقد أجاب الصحابة بذلك لما يعرفون عن غناه.

قال: ثم سكت، فمر رجل من فقراء المسلمين فقال: «ما تقولون في هذا»؟! قالوا: «حري إن خطب أن لا ينكح، وإن شفع أن لا يشفع، وإن قال أن لا يستمع» فقد نظروا إلى فقره وحاله الظاهري.

فقال ﷺ: «هذا خير من ملء الأرض من هذا». [أخرجه البخاري].

فقد كان قصد النبي ﷺ أن هذا الرجل الفقير التقي صاحب الخلق الحسن خير من ذلك الغني المتكبر الذي على غير تقى والتزام بالأخلاق.

٢ ـ البحث في أخلاق هذا المتدين:

وقد يستغرب الإنسان من هذا الكلام، أليست الأخلاق من الدين؟!،

الجواب بلى.. ولكن حديث رسول الله ﷺ في هذا الموضوع معجزة هذا العصر، الذي وجد فيه متدين يلتزم بالعبادات، لكن أخلاقه سيئة، وهذه مشكلة نعانيها في هذه الأيام، شاب التزم العلماء وجالسهم، تراه يحفظ القرآن، ويحافظ على الجمعة والجماعة، ولكنك عند معاملته تجده كاذباً، غشاشاً، غضوباً،...، لذلك على أهل الفتاة تقع مسؤولية السؤال عن أخلاق هذا الشاب المتدين بالظاهر، وحقيقة معاملته مع الآخرين وهذا يحتاج إلى بحث طويل للوصول إلى الحقيقة عن طريق معارفه وجيرانه ومن مشى معه أو سافر معه، أو شاركه، أو عامله، أرشدنا سيدنا عمر إلى هذا الموضوع بشكل واضح لا لبس فيه: «جاء رجل إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه يريد الزواج فسأل سيدنا عمر رضي الله عنه عمن يعرف الرجل، فقام رجل ليعرّفَهُ؛ فسأله سيدنا عمر رضي الله عنه أتعرف هذا الرجل؟ فأجاب: نعم، قال: هل أنت جاره الذي يعرف مداخله ومخارجه؟ فأجاب الرجل: لا، قال عمر: هل صاحبته في السفر الذي تعرف به مكارم الأخلاق؟ فأجاب: لا؛ قال عمر: هل عاملته بالدرهم والدينار الذي يعرف به ورع الرجل؟ فأجاب الرجل: لا، فصاح به عمر: لعلك رأيته قائماً قاعداً يصلي في المسجد؟ فرد الرجل بالإيجاب، فقال له عمر: اذهب فإنك لا تعرفه، والتفت إلى الرجل الأول وقال له: ائتني بمن يعرفك».

وهذا توضيح واضح وبيان لامع من سيدنا عمر رضي الله عنه في معرفة الرجال، لأن المعرفة الحقيقية للرجال ليست في أداء العبادات الظاهرة، ولكن في المحتوى الداخلي، وهو المعاملات والأخلاق.

وتوضيح آخر أن المعرفة الحقيقية إنما تكون من طريق تكشف الحقائق، وذكر منها الجوار، والمشاركة، والسفر، حيث إنها تكشف عن خبايا النفس ومضمونها، وحقيقتها وأخلاقها وآدابها وسلوكها؛ وهذا الشيء هو الأهم في نجاح الزواج إلى جانب العقيدة والعبادة.

وقد يسأل والد الفتاة كيف لنا أن نعرف معاملات الخاطب وأخلاقه، إن لم يكن قد جاورناه أو سافرنا معه أو شاركناه.

والجواب على ذلك: أن لا نكتفي بالانخداع بالصورة الظاهرة، وارتياده

لدروس العلماء، وملازمته للصلاة، وعبادته فقط، فهذه الأمور لا تعطي الصورة الحقيقية لما في داخله، ولا لطريقة معاملاته وحسن أخلاقه.

لذلك على الآباء الالتجاء إلى أقاربه وجيرانه وأصدقائه ومن لهم معرفة به وسؤالهم عن أخلاقه: أهو غضوب؟، بخيل؟، حسود؟، كذوب؟، حقود؟، فظ المعاملة؟، شرس الطباع؟، بذيء اللسان؟، مغتاب نمام؟، منافق في أعماله؟، فاسق في تصرفاته؟، مهمل لواجباته؟، لا يحب عمله؟، ولا يسعى لرزقه؟، غير محبوب وغير مطلوب، أم هو هين لين في طباعه، ودود سخي في معاملاته، محب للآخرين، محافظ على أمر دينه في كل مجالاته، مبتسم راض قانع، مهتم بعمله، مسرع نحو طلب رزقه، محبوب مطلوب من أترابه، بار بوالديه، متعاون مع أفراد أسرته، يحب الجميع ويحبونه.

وليعلم الآباء أن معرفة كل ذلك لابد لها من بعض العناء والبحث والاستقصاء وهذا الجهد المبذول في ذلك هو سبب سعادة بناتهم في المستقبل، وفي العجلة والسرعة وعدم البحث والاستقصاء من ذلك ندم شديد، وتعاسة كبرى، وفي هذا الموضع يجب أن نشير إلى ضرورة التحري الدقيق عن طريق المراقبة والسؤال للآخرين الذين يعرفون هذا الشاب وأهله، ولا بد من أن يجيب المسلم المسؤول عن هذا الموضوع بصدق وأمانة عما يعرفه عنه وعن أهله مع إبداء نصحه في الموضوع، وهذا الأسلوب كان واضحاً من سيرة النبي ﷺ؛ تقول فاطمة بنت قيس ـ وقد مات زوجها ـ قال لي رسول الله ﷺ: «إذا حللت فآذنيني» ـ أي أعلميني ـ فلما حلت من عدتها أخبرته أن معاوية وأبو جهم خطباها؛ فقال النبي ﷺ: «أما معاوية فصعلوك لا مال له (فقير لا يملك نفقة الزواج بعد)، وأبو جهم فلا يضع عصاه عن عاتقه (شديد الغضب والضرب)، ولكن انكحي أسامة بن زيد» فكرهته، فقال: «انكحي أسامة» فنكحته فجعل الله فيه خيراً كثيراً واغتبطت به.

[أخرجه أحمد وأصحاب الكتب الستة إلا البخاري].

وإرشاد النبي ﷺ لاختيار أسامة رضي الله عنه لأنه تربى على كامل الدين والأخلاق في كنفه ﷺ.

صحابي اسمه أبو ريمة الخفعمي ذهب خاطباً لبيت من بيوت المسلمين، فلم يزوجوه لأنهم لا يعرفونه، وقالوا له: ائتنا بمن يزكيك عندنا، فعاد إلى المدينة وأخذ بلالاً، دخل سيدنا بلال مع أبي ريمة، وقال: أنا بلال بن رباح مؤذن رسول الله ﷺ وهذا أخي في الإسلام أبو ريمة الخفعمي، رجل سوء في الخلق، إن شئتم فزوجوه وإن شئتم فارفضوا، قالوا: زوجناه من أجل صدقك يامؤذن رسول الله.

ولما وقف الإمام علي على المنبر وذهب ابنه الحسن من قبل يخطب بنتاً من بني همدان فوافقوا، قال سيدنا علي وهو على المنبر: إن ابني الحسن رجل مزواج مطلاق، إن شئتم فزوجوه وإن شئتم فارفضوا، فوقف زعيم القبيلة وقال: وكيف نأبى لابنتنا أن تضع شفتيها في مكان كانت توضع فيه شفتا رسول الله ﷺ فتبسم علي رضي الله عنه وقال:

لو كنت بواباً على باب جنة   لقلت لهمدان ادخلي بسلام

هذا الوضوح يجب أن يكون فينا عندما نكون شهداء على الناس، لأننا لو أخفينا عيباً من المتقدم نعرفه، أو أخفينا عيباً في المتقدم إليها نعرفه، فإننا شهداء زور والعياذ بالله.

٣ ـ البحث الدقيق عن أهل الزوج:

وخاصة الوالدين ما هي أخلاقهم وطريقة معاملتهم مع الآخرين، مقدار التزامهم بالدين حسن معاشرتهم للآخرين، هل هم يتصفون بالكرم أو البخل؟ بالحلم أو بالغضب؟ بالقسوة أو بالليونة؟، بالابتسامة أو بالعبوس؟.

كيف يعالجون أمورهم مع الآخرين، مقدار حب الآخرين لهم من الأهل والجيران والمعارف والخلان.

إن الزوجة ستدخل إلى بيت الزوج لتعيش مع هذه الأسرة الجديدة فهل تستطيع ضمن تربيتها البيئية أن تعيش مع عادات هذه الأسرة وتقاليدها الجديدة، هذا شيء مهم لاستمرار الزواج، يجب البحث عنه بدقة.

سئل أحد العلماء عن أحد المريدين من أجل زواج فقال: أمهلوني ستة أشهر، فقالوا له: هذه المدة طويلة، فأجاب سيكون لابنتكم زوجاً ربما عاش

معها أكثر من خمسين عاماً، فهل التحقق في أمر الزواج لمدة ستة أشهر مدة طويلة أمام المدة التي ستعيش معه طيلة حياتها.

٤ ـ الكفاءة:

الكفؤ: هو النظير، والأكفاء تعني النظائر والأشباه.

وأقصد بالكفاءة التقارب بين الخاطب ومخطوبته في الأمور الهامة مثل الدين، والثقافة، والنسب، والسن، والبيئة الاجتماعية، والمالية، بقدر الإمكان.

فيجب على الفتاة وأهلها أن ينظروا إلى حالة الزوج والتقارب بينه وبين فتاتهم من حيث السن بأن لا يكون الفارق كبيراً بينهما، وكذلك في موضوع الثقافة والشهادات، وفي موضوع الجمال والحسب والنسب، والغنى والبيئة الاجتماعية وغير ذلك، وقد ورد عن الشافعي رحمه الله «الكفاءة في الدين والمال والنسب»، فإن كانت الفروق كبيرة بينهما فقلَّ ما يستمر الزواج أو ينجح وذلك لاعتبارات كثيرة لا يمكن تفصيلها لأنها تحتاج إلى بحث طويل وإنما نعطي الحقائق العملية، والتجارب الواقعية التي رأيناها على مدى حياتنا.

وفي هذا الشرط يقول النبي ﷺ:

«تخيروا لنطفكم، فانكحوا الأكفاء، وأنكحوا إليهم».

[أخرجه الترمذي وابن ماجه والحاكم والبيهقي].

وقال ﷺ: «لا يزوج النساء إلا الأولياء، ولا يزوجوهن إلا الأكفاء».

[أخرجه البيهقي في السنن الكبرى].

وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه أنه قال:

«لأمنعن لذوات الأحساب فروجهن إلا من الأكفاء».

والأكفاء جمع كفء بضم أوله وسكون الفاء بعدها همزة: المثل والنظير.

قاله في الفتح، وقال: «... أن الشريف النسيب يستحب له أن يتزوج

نسيبه إلا إذا تعارض نسيبة غير دينة، وغير نسيبة دينة فتقدم ذوات الدين، وهكذا في كل الصفات». [فتح الباري].

والمعنى أن المرأة إذا كانت ذات نسب ولكنها ليست ذات دين فتقدم عليها ذات الدين وإن لم تكن ذات نسب.

ولنا في عهد النبي ﷺ تجربة عملية فقد زوج النبي ﷺ زينب بنت جحش رضي الله عنها من زيد بن حارثة مولاه ومعتقه رضي الله عنه بأمر الله تعالى، ومع ذلك فإن شعور زينب أنها القرشية الكريمة بنت عمة رسول الله ﷺ تكون زوجة لرجل جرى عليه الرق ظلماً وعدواناً.

هذا الشعور بالتمايز حال بينها وبين التآلف والتعاون مع زوجها زيد، مما آل إلى أن طلق زيد زينب رضي الله عنها كما قصّ علينا القرآن الكريم ذلك.

والإسلام لا يعد الكفاءة شرطاً في صحة الزواج، بل شرطاً في استدامته، فلو زوجها وليها من غير كفء واعترضت هي فسخ العقد، وكذلك يفسخ العقد إن زوجت نفسها من غير كفء واعترض الولي، وإذا تنازل كل من الولي والمرأة عن الشرط كان عقد الزواج نافذاً مستمراً.

وفي هذا الموضوع يقول الإمام الغزالي: «ويجب على الولي أيضاً أن يراعي خصال الزوج، ولينظر لكريمته فلا يزوجها ممن ساء خُلُقه أو خَلْقه، أو ضعف دينه أو قعد عن القيام بحقها، أو كان لا يكافئها نسباً».

[إحياء علوم الدين ج٢ صفحة ١٤].

بل إن ضعف المرأة يفرض على الولي دقة خاصة في الاختيار، وفي ذلك يقول الإمام الغزالي في الموضوع نفسه: «والاحتياط في حقها أهم، لأنها رقيقة بالنكاح لا مخلص لها، والزوج قادر على الطلاق بكل حال، ومهما زوج ابنته ظالماً أو فاسقاً أو مبتدعاً أو شارب خمر، فقد جنى على دينه، وتعرض لسخط الله، لما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار».

[المرجع السابق والصفحة نفسها].



ثانياً ـ الخطبة الشرعية

الخِطبة بكسر الخاء هي الخطوة الأولى والحاسمة التي تسبق العقد، وذلك بعد خطوة الانتقاء والاختيار التي تحدثت عنها سابقاً، فبعد الطمأنينة الكاملة من الطرفين مع الرضا التام، بعد أن علم كل منهما حقيقة الآخر وأتم السؤال عنه، واستخار الله عز وجل، واستشار أهل العلم والإيمان وأهل الصلاح والعرفان.

تبدأ الخطبة بإرسال الخاطب بعض أقاربه من النساء إلى بيت الفتاة التي يعتزم خطبتها ليروها ويأخذوا فكرة عن جمالها وما يتعلق بذلك، ثم يجتمعون بالخاطب ويحدثونه عما رأوا وهذا مأخوذ من فعل النبي ﷺ، فقد بعث أم سليم إلى امرأة وقال لها: «انظري عرقوبيها وشمي عوارضها».

[أخرجه أحمد وابن ماجه والحاكم والبيهقي وأبو داود].

والمقصود بالنظر إلى العراقيب مفردها عرقوب وهو: (عصب غليظ فوق عقب الإنسان)، وذلك للتأكد من امتلاء الجسم، وبشم العوارض (وهي الأسنان في عرض الفم) للاطمئنان إلى طيب رائحة الفم.

عندما يوافق الخاطب على مخطوبته يحق له الذهاب إلى بيتها مع أهله وبحضور أهلها لينظر كل منهما إلى الآخر ويسمع كل منهما من الآخر ويأخذ كل منهما فكرة واضحة عن الآخر.

ففي الحديث أن المغيرة بن شعبة، خطب امرأة فقال النبي ﷺ له:

«انظر إليها فإنه أحرى أن يؤدم بينكما» [متفق عليه].

أي أحرى أن تحصل بينكما الموافقة والملاءمة، وجاء رجل إلى النبي

ﷺ فأخبره أنه تزوج امرأة من الأنصار، فقال ﷺ: «أنظرت إليها»؟ قال: لا، قال ﷺ: «فانظر إليها فإن في أعين الأنصار شيئاً». (يعني الصغر).

[متفق عليه]

وعن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا خطب أحدكم امرأة فإن استطاع أن ينظر منها ما يدعوه إلى نكاحها فليفعل»، قال جابر فخطبت امرأة فكنت أتخبأ لها حتى رأيت ما دعاني إلى نكاحها فتزوجتها.

[متفق عليه].

ويستدل بالنظر إلى الوجه على الجمال أو ضده، وإلى الكتفين على خصوبة البدن أو عدمها.

وهذا النظر لا شك يكون في وجود أحد محارمها لأن النبي ﷺ نهى أن يختلي الرجل بالمرأة ليس بينه وبينها محرم، فقال ﷺ: «لا يخلون أحدكم بامرأة إلا مع ذي محرم». [أخرجه أحمد وأبو داود].

ولما كانت الضرورات تبيح المحظورات فقد اعتبر أن الخطبة من الضرورات التي من أجلها يباح النظر إلى المرأة، ولكن يجب ألا تتعدى الإباحة القدر الضروري لتحقيق الحكمة منها، وإلا انقلبت معصية لله ورسوله.

ولهذا النظر آداب على الخاطب أن يراعيها.

[انظر آداب الخطبة والزفاف، عبد الله علوان].

أولاً: لا يجوز للخاطب أن ينظر إلا بعد أن يعزم عزماً صادقاً على الزواج، قال رسول الله ﷺ: «إذا ألقى الله في قلب امرىء خطبة امرأة فلا بأس أن ينظر إليها». [أخرجه أحمد وابن ماجه].

ثانياً: لا يجوز للخاطب أن يرى من مخطوبته سوى وجهها وكفيها، لأن الأمر بالنظر ليتعرف إلى الوجه لكونه مصباح البدن، وإلى الكفين لكونهما ظاهرين عادة.

ثالثاً: يجوز تكرار النظر إذا دعت الحاجة إليه حتى تنطبع الصورة الحسية

في الذهن، وجواز التكرار مبني على إطلاق لفظ «انظر إليها» وعدم تقيده بمرة أو مرتين.

رابعاً: يجوز أن تحدثه، ويجوز أن يحدثها في جلسة الخطوبة والنظر، لأن صوت المرأة عند جمهور الفقهاء ليس بعورة، والنبي ﷺ كان يتحدث إلى النساء وكان يستمع إليهن، والصحابة رضوان الله عليهم كانوا يسألون أزواج النبي ﷺ بعد وفاته عليه الصلاة والسلام عن الأحاديث والأحكام الشرعية من وراء حجاب ويستمعون إليهن.

خامساً: لا يجوز مصافحة المخطوبة بحال، لكونها أجنبية عن الخاطب قبل إجراء العقد، والأجنبية يحرم مصافحتها شرعاً، لما روي عن النبي ﷺ عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: ما مست يد رسول الله ﷺ يد امرأة في المبايعة قط، وإنما مبايعتها كانت كلاماً.

سادساً: لا يجوز أن يجتمع الخاطب مع المخطوبة أثناء الخطوبة إلا مع أحد محارمها، لتحريم الإسلام الخلوة بالمرأة الأجنبية، لما روي عن النبي ﷺ أنه قال: «ألا لا يخلون رجل بامرأة، ولا تسافرن امرأة إلا ومعها ذو محرم».

[متفق عليه].

سابعاً: يجوز للخاطب أن يرى مخطوبته في حالة لا تعلم أنه ينظر إليها، لما روى عن النبي ﷺ أنه قال: «إذا خطب أحدكم امرأة فلا جناح عليه أن ينظر منها إذا كان، إنما ينظر إليها لخطبته وإن كانت لا تعلم».

[أخرجه الإمام أحمد].

عند موافقة الطرفين على الزواج تبدأ الخطوة الثانية في الخطبة فيجتمع الأهل من النساء لكلا الطرفين للبحث في أمور المهر وما يتعلق به «المتقدم والمتأخر والملابس والذهب» والمدفوع منه والمؤجل وشروط أخرى يبحثها لصالح الطرفين، مع مسائل أخرى تتعلق بالسكن والعمل وظروف الحياة الأخرى.

عند الموافقة من الأهل من كلا الطرفين يجتمع أولياء الأمور من الرجال

لتثبيت الموافقة على الشروط المتعلقة بالمهر وما يتعلق به ويقرؤون الفاتحة على ذلك وهذا العرض يسمى «بالوجاهة».

ويجب على الجميع أن يعلم أن قراءة الفاتحة مجرد وعد لا عقد، وأن هذا الوعد لا يبيح شيئاً بعد، ولا يبيح للخاطب أن يختلي بمخطوبته لأنها ما زالت محرمة بالنسبة إليه إذا لم يعقد عقده عليها.

وهذه الخطبة مقدمة وليست زواجاً وهي لا تعطي أحداً من الطرفين حقاً من حقوق الزوجية.

ولقد سئل فضيلة الشيخ الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي حفظه الله ونفع المسلمين به عن حدود العلاقة بين الخاطب وخطيبته، ما المسموح وما المحرم شرعاً؟ فأجاب: الخطبة بين أسرتين، على مشروع زواج، وربما توج هذا الاتفاق بقراءة سورة الفاتحة؛ هذه الخطبة لا تحمل في طيها أي دلالة على حكم شرعي ما، ولا تتضمن أي مسوّغ لأي نوع من أنواع المتعة التي قد تتم بين الزوجين؛ بالإضافة إلى أن قراءة الفاتحة التي جرى العرف بها بين الناس، بدعة لا تستند إلى دليل من الشرع، فإنها بحكم البداهة لا تبيح حراماً، ولا تحل محل عقد الزواج.

ومن ثم، فإن العلاقة بين الخطيبين، في فترة الخطبة، هي نفسها العلاقة التي تكون بين أي شاب وفتاة لا تربطهما أية صلة زوجية أو قرابة رحم، أي فلا يجوز أن يلتقيا على أي من أنواع المتعة الزوجية، بل لا يجوز أن تضمهما خلوة شرعية.

[د. محمد سعيد رمضان البوطي مع الناس ص٧١ وما بعدها].



ثالثاً: كتب الكتاب «العقد» عقد الزواج

بعد أن يتم اختيار الخاطب لمن تكون شريكة حياته، وقرينة عمره على أسس الإسلام، يبدأ بعد ذلك بالمرحلة الإيجابية وهي «عقد الزواج»، قال تعالى: ﴿وَلَا تَعْزِمُوا عُقْدَةَ النِّكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ [البقرة: ٢٣٥].

ويقصد بعقد الزواج حل استمتاع كل من الزوجين بالآخر على الوجه الشرعي لتأمين السكن النفسي، وإنجاب الذرية الصالحة، والتعاون على بناء الأسرة وتربية الأولاد.

وهذا العقد لا يتم إلا بصيغتي الإيجاب والقبول.

والإيجاب: هو الكلام الصادر أولاً من أحد المتعاقدين، كأن يقول أبو الزوجة مثلاً: زوجتك ابنتي فلانة، أو يقول الزوج: زوجني ابنتك فلانة.

والقبول: هو الكلام الصادر ثانياً من أحد المتعاقدين، كأن يقول الزوج لأبي الزوجة بعد الإيجاب: قبلت زواج ابنتك، أو يقول أبو الزوجة للزوج بعد الإيجاب: زوجتك ابنتي فلانة.

ولقد وضع الإسلام صيغتي الإيجاب والقبول دليلاً على التراضي، لأن الرضا أمر قلبي لا يمكن إدراكه إلا عن طريق التلفظ بصيغتي الإيجاب والقبول.

ولهذا العقد أركان هي:

١ ـ الولي: وهو الأقرب إلى البنت من العصبة بالنسب، كالأب، والجد، والأخ، والعم.

لا يصح العقد إلا برضاه وموافقته على الزواج، لأن المرأة قد تقدم على

الزواج ممن لا يكون كفأً لها، أو لا يستطيع القيام بحقوقها، أو يكون إنساناً فاسقاً لا يراعي حدود الله عز وجل.

فلذلك اشترط الإسلام رضى الولي، وذلك في الحديث عن رسول الله ﷺ قال: «**أيما امرأة نكحت بغير إذن وليها فنكاحها باطل، فنكاحها باطل، فنكاحها باطل**». [رواه أصحاب السنن إلا النسائي].

وفي الحديث أيضاً: «**لا نكاح إلا بولي**». [رواه الترمذي وأبو داود].

٢ ـ الشهود: ويكون بشاهدين يسمعان الإيجاب والقبول أو رجل وامرأتين عند الحنيفية.

قال رسول الله ﷺ: «**لا نكاح إلا بولي وشاهدي عدل**».

[أخرجه أحمد والدارقطني].

ويشترط في الشهود: الإسلام، والذكورة، والبلوغ، والعقل، والعدالة.

٣ ـ الصداق: وهو المهر وهو مبلغ من المال يقدمه الزوج لزوجته تكريماً لها، وهو ركن من أركان الزواج لا يمكن إسقاطه بحال ويجوز بقليل المال وكثيره.

٤ ـ الصيغة: وهي الإيجاب والقبول.

ويجب أن يعلم كل مسلم أن الصداق هو تكريم وإيناس لوحشتها وتلبية لغريزة حب التملك المتأصلة فيها، وإعانة لها على الانتقال إلى حياة الزوجية، حيث تمتلك ما يروق لها.

لذلك لا بد للزواج الناجح أن يدفع على الأقل ما يسره العرف وهو المقدم حفظاً لشعور الفتاة، وإعانة لها لشراء بعض حاجاتها الضرورية للزواج، أما ما نسمعه اليوم من تأجيل المتقدم والمتأخر فإني أرى أن هذا العرف الذي يجري اليوم قد ابتعد عن الشرع الذي يرغب بدفع المهر كاملاً، قال تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ﴾ [النساء: ٤].

أي: ادفعوا لهن مهورهن عطية ومنحة عن طيب نفس وبما أن الزواج لا بد له من مهر، فهو عطاء يديم المحبة، ويوثق عُرا الزوجية ويعين على

نفقات مطالب الزواج، فلن نغالي فيه، ولن نعتبره شرطاً أساسياً لهذا الزواج الذي ارتضينا في هذا الخاطب دينه وأخلاقه، وسيرته وسمعته وشرفه، فالمهر وسيلة وليس غاية، نعمل بما سمعناه عن أمنا السيدة عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ قال: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤنة» [أخرجه أبو داود].

قال الإمام القرطبي: فالصداق عطية من الله تعالى للمرأة.

وعلى الزوج الصالح في الزواج المبارك أن يسعى لتسديد المهر بأسرع ما يمكنه وألا يتأخر فيه فهو حق لزوجته تصرفه أينما شاءت، وهذا الزوج الصالح ليس في نيته تجاه المهر أي سوء نية لأنه يحفظ حديث رسول الله ﷺ: «أيما رجل تزوج امرأة على ما قل من المهر أو كثر، ليس في نفسه أن يؤدي إليها حقها، لقي الله يوم القيامة وهو زان». [رواه أحمد والطبراني].

وقوله ﷺ: «من أعظم الذنوب عند الله، رجل تزوج امرأة فلما قضى حاجته منها طلقها وذهب بمهرها». [أخرجه الحاكم ٢/١٨٢].

وعندما تتم كل هذه الأمور السابقة، وبعد الاستخارة والاستشارة والموافقة، لا بد من إجراء العقد الشرعي على يد عالم فاضل، أو صالح تقي، بحضور شاهدين عدلين مع وجود بعض الأهل والأقارب والمعارف من الطرفين، ثم يثبت العقد في المحكمة الشرعية لإشهار العقد وضمان الحقوق، ضماناً للسلامة، وبعداً عن الخلافات التي قد تنشأ بسبب طول الأجل بين العقد والزواج.

على ألا تكون الفترة بين العقد والزواج طويلة الأجل.

فمن أراد أن يخطب من الشباب ويتقدم للزواج لا بد له من أن يكون قد هيأ بين يديه أهم مقومات الزواج، كما بين ذلك النبي ﷺ في نصيحته للشباب: «يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج» [أخرجه أبو داود].

والباءة هي: كل ما يحتاجه الزواج من مال، ومتاع وسكن وحاجات أخرى، ومتطلبات متعددة، لا أن يخطب دون تهيئة للأسباب، ثم يؤجل الزواج إلى أن يصبح مهيأ لذلك بعد فترة طويلة من الخطبة فهذه مشكلة

تؤدي إلى عواقب وخيمة، وخطأ كبير يقع فيه الشاب وأهله ولا بد هنا من توجيه نصيحة ضرورية مهمة لكل فتاة مخطوبة يجب التمسك بها وهي:

يجب ألا تكون الفترة طويلة بين العقد وحفلة العرس، لأن هذه الفترة حرجة، وعليك الانتباه لكل تصرفاتك فيها، ولدقة هذه الفترة وخطورتها فإنه يجب عليك العمل بالأحوط لأنه الأسلم، وهذا يدعو الوالدين ألا يقبلا أن يجالسك في خلوة تامة، أو أن يصطحبك بمفردك في نزهة بحجة متابعة الألفة والتعارف، وحصول الأنس والمحبة، فهذا كله يكون بعد الزواج.

فما حصل من اتفاق، وما تم من عقد إلا بعد تفكير وتمحيص وقبول وإيجاب، وأما ما يتبع ذلك بين الزوجين فهو يتم بعد الزواج، أما حضوره في هذه الفترة لزيارتك في منزلك ضمن معرفة الأهل وتحت أنظارهم، أو ذهابه في نزهة مع أهلك وتحت إشرافهم، أو التكلم على الهاتف في موضوع التحضير للزفاف أو الزواج أو للطمأنينة، أو زيادة في التعارف والمحبة والانسجام، فلا مانع منها، بل لا بد منها فهو أمر طبيعي مقبول مطلوب ومحمود.

وغير ذلك يجب ألا يكون، وذلك لضمان الموضوع وسلامته مستقبلاً.

واعلمي أيتها الفتاة المخطوبة أن أي أمر يحدث غير هذا في هذه الفترة أو أي تساهل في مثل هذه الأمور، أو تغافل عن كثير من الأمور التي تجري بين الخاطبين في هذه الفترة، ربما أدى إلى أمور لا يحمد عقباها، تكون سبباً في الفراق أو انهيار الزواج، وبالتالي الدمار الشديد خاصة للفتاة.

فاللقاءات المنفردة، والخلوة بين الخاطبين ولو كان العقد الشرعي مكتوباً بينهما، قد يجر إلى أمور لا تحمد عقباها وإن كانا في حينها على أشد السرور والفرح والانشراح والمحبة، لكنها قد تجر لما لا يُسر في المستقبل، بل قد يكون سبباً لفسخ العقد أو سبباً لأمور كثيرة محرجة.

لذلك يجب الانتباه الشديد والوعي الكامل من الطرفين ومن الأهل إلى ما يحدث في هذه الفترة وعدم التأثر بما يظن بأنه شرع أو أمر لا مانع منه.

صحيح أن عقد الزواج الشرعي أو المدني يعني أن الفتاة أصبحت زوجة

للخاطب ولكن هذا كان في زمن النبي ﷺ، حيث إن الزواج كان يتم بعده مباشرة دون هذا التأخير الذي يحدث اليوم.

والعرف اليوم أن الزواج الحقيقي يكون في ليلة الزفاف لا في أيام الخطبة والعقد، لذلك لا بد أن تكون التصرفات في أيام الخطبة والعقد محدودة ومدروسة، وفيها الانتباه والحذر والوعي وحسن التصرف إلى أن تتم حفلة الزواج، وذلك لضمان سير الزواج بشكل صحيح ليس فيه مخالفة للشرع ولا للعرف، وبذلك تكون سعادة الزوجين، ورضى الله والأسرتين.



رابعاً ـ ليلة الزفاف

بعد أن يتم العقد على الوجه المسنون والمشروع، يشرع الزوجان في التهيئة النفسية والمادية ليجتازا عتبة الزواج ليلة زفافهما ولحظة لقائهما إن شاء الله.

هذا وينبغي على جميع أفراد الأسرتين العمل على أن تكون هذه الليلة ليلة مباركة لا معصية فيها أبداً، والتمسك بما شرعه الله تعالى وسنة النبي ﷺ، وعدم التأثر بالعادات والتقاليد التي تجري عادة، أو التي ابتعدت في شكلها ومضمونها عن وصايا الدين الحنيف. حتى لا تبنى هذه الأسرة الجديدة، وفي أول ساعاتها على ما يغضب الله ورسوله، وحتى لا يغلب السوء والشقاء أول إنشائها وبنائها، وأول ما يجب على أهل الفتاة الانتباه إلى ملابس الفتاة في ليلة زفافها، فإذا أرادوا أن تكون فتاتهم جميلة مزينة مزركشة، لا مانع من ذلك، ولكن بشرط أن تكون ساترة للعورة غير مظهرة للمفاتن.

فالملابس تعبير عن فرحة وسرور، لا إظهار للمفاتن والعورات.

كذلك يجب الابتعاد عما يجري عادة في هذه الاحتفالات من موسيقا صاخبة ماجنة، ورقص غير شرعي، وغناء ماجن، وذلك تقيداً بالشرع والتزاماً بتوجيهات النبي ﷺ، فقد روي عنه ﷺ قوله: «من قعد إلى قينة ـ مغنية أو راقصة ـ يستمع منها صب الله في أذنيه الآنك ـ الرصاص المذاب ـ يوم القيامة». [أخرجه ابن عساكر في تاريخه].

وروي عن سيدنا علي كرم الله وجهه أن رسول الله ﷺ قال:

«إذا فعلت أمتي خمس عشرة خصلة حل بها البلاء..، وعدد منها: واتخذت القينات والمعازف». [أخرجه الترمذي].

والسادة العلماء، والأتقياء المختصون على إجماع على حرمة الاستماع إلى الغناء الفاحش، المثير للغرائز، وعلى حرمة الرقص الماجن، والموسيقا بهذه الآلات المحرمة والنغم المثير الماجن.

وليس يعني ذلك أن حفلة العرس ستكون قاتمة جامدة، لا تعبر عن فرحة وسرور، بل لا بد من برنامج إسلامي في هذه الحفلة يضفي عليها كامل السرور والانشراح والمتعة والحبور، برنامج لا صخب فيه ولا صياح، ولا هرج ولا مرج، ولا معصية ولا إزعاج، برنامج إسلامي يحتوي على كل مايسعد ويسر، ويفرح ويفيد، فرقة إنشاد إسلامية نسائية، تضرب الدف وتنشد أناشيد معبرة مفيدة، جميلة، تطرب الحضور وتظهر بهجتهم وفرحهم.

في هذا البرنامج تمثيليات ومنولوجات وفقرات فكاهية مضحكة مسلية وزغاريد وأهازيج وفقرات منوعة جميلة.

يروى عن السيدة عائشة رضي الله عنها أنها زوجت يتيمة من الأنصار، وكانت عائشة رضي الله عنها فيمن أهداها إلى زوجها، فقالت: فلما رجعنا قال لنا رسول الله ﷺ: «ما قلتم يا عائشة؟ فقالت: سلمنا ودعونا بالبركة ثم انصرفنا، فقال: إن الأنصار قوم فيهم غزل، ألا قلتم يا عائشة:

أتيناكم أتيناكم فحيونا نحييكم
ولولا الذهب الأحمر ما حلت بواديكم
ولولا الحنطة السمراء ما سمنت عذاريكم»

[أخرجه الطبراني وابن ماجه].

إذاً برنامج كامل فيه ما يسر ويبهج، ويتوج كل ذلك داعية مسلمة، ومرشدة مؤمنة، وآنسة مربية، تتحدث بكلمات ربانية، تدخل أعماق النفوس فتشرح الصدور، وتسر القلوب، وتملأ العقول بالعلم والحكمة والفوائد الكثيرة التي تربط المسلمة بدينها، وأي شيء أجمل من هذا في هذه المناسبة الجميلة.

أما ما يتعلق بحفلة الزواج للشاب المؤمن فهي حفلة يدعى إليها العلماء

والخطباء وأهل الصلاح والإيمان، والأهل والأصدقاء، والمعارف والجيران، ينشد فيها المنشدون أناشيد تقرب من حب الله وحب رسول الله ﷺ ولا حاجة فيها إلى أدوات موسيقية منوعة حديثة ويُكتفى بالدف فقط، كذلك لا حاجة لمكبرات الصوت المرتفعة التي تؤذي سمع الحاضرين وتعيق فهم معاني الأناشيد، كذلك لا حاجة لفرقة الطبول والمزامير والسيوف والترس لأنها مضيعة للمال، ومضيعة للوقت في آن واحد، هذا الوقت الثمين الذي يمكن أن يستغل فيه بالاستماع إلى كلمة فاضلة موجهة من قبل أحد العلماء الحاضرين تكون فيها الفائدة أعم وأشمل تضفي على حفلة العرس جمال الإيمان وريحان العرفان، وأنوار تجليات الرحمن، وحب النبي العدنان ﷺ، وحبذا أن يعطىٰ المال الذي يقدم لتلك الفرق المختلفة لمساعدة للفقراء والمساكين والأيتام، فدعاء منهم يعود بالخير والتوفيق، خير من ذلك البذخ والإسراف البعيد عن تعاليم الدين.

ولا بأس بتقديم بعض الفقرات المنوعة التي فيها فائدة دعوية إيمانية، ثم يزف العريس إلى عروسه بالأسلوب الشرعي البعيد عن العادات المنافية للدين.

وفي هذا المجال يجب التأكيد على أمر يخطىء فيه أكثر الأزواج، ومنهم الملتزمون، وهو دخول العريس في آخر الحفلة إلى مكان النساء، ليجلس إلى عروسه أمام جمع النساء وأكثرهم من غير محارمه.

والأمر الأشد غرابة، وحماقة وجهلاً وبعداً عن الدين، وتقليداً للأجانب والماجنين دخول والده أو أحد أقربائه معه.

وقد غفلوا عما رواه الشيخان عن رسول الله ﷺ قوله:

«إياكم والدخول على النساء، فقال رجل: يا رسول الله أفرأيت الحمو، قال: الحمو: الموت»، والحمو أقارب الزوج وقول النبي ﷺ الحمو الموت، معناه أن توقع الشر منهم أكثر من غيرهم لسهولة دخوله بيت الزوجية.

فأي مصيبة يرتكبها أولئك الحمقى الجاهلون، وأي خطأ يقعون فيه! وأي مخالفة للشرع يرتكبونها؟!.

أين غض البصر الذي أمر الله به المؤمنين والمؤمنات؟ والأمر المستغرب أيضاً انتظار النساء ظهور الزوج ليَرينه ويرين ما يفعله مع عروسه، وما يقدم لها من أساور وقلائد وذهب وفضة وألماس.

وظهور الزوج على مشهد عدد كبير من النساء، وهن في كامل زينتهن، وبمظهرهن المغري والفاتن مخالفة للشرع، وأي مخالفة هذه التي يرتكبها الزوج في أول ليلة لبناء هذه الأسرة الجديدة.

والسؤال ماهو الحل الأمثل لهذا الموقف؟

الحل الأمثل هو إعلام المدعوات عن طريق بطاقة الدعوة عن وقت انتهاء الحفلة، وقبل انتهاء الوقت المحدد، وانتهاء البرنامج المقرر، تخرج أم الزوج أو من ينوب عنها إلى منصة الحفلة وتقوم بعرض هدايا الزوج للزوجة، لتقنع الحاضرات بالانصراف، ثم تقوم الداعية بإنهاء الحفلة بالدعاء بالتوفيق والسعادة للعروسين، وتبيان أن زوج العروس لن يدخل إلى الصالة وفيها غير محرم من النساء، منبهة على أهمية ذلك في الشرع، ثم تبدأ بمغادرة القاعة أمامهن ويخرج معها المدعوات تباعاً.

بينما يكون الزوج قد وصل إلى الصالة، في الوقت المقرر، ويجلس في إحدى غرف الصالة منتظراً إعلامه بالوقت المناسب لدخوله على محارمه فقط.

وعند دخوله يسلم على محارمه وعلى عروسه، وتقدم والدته هداياه ليقوم بتقديمها إلى عروسه، ويجلس إلى جانبها بعض الوقت يسامرها ويتحدث معها، ولا مانع من إظهار الفرح والسرور بالأهازيج والزغاريد، ثم يأخذ بيدها ويخرج معها إلى منزله، بعد أن ترتدي فوق ملابسها ما يستر زينتها حتى لا يرها أحد عند خروجها من الصالة، وأيضاً أثناء الطريق وحين دخولها منزل الزوجية.

وما أعظم سخف وبشاعة وحقارة وقلة الغيرة والدين في العادة المتبعة وهي إطلاق الزمامير من السيارات التي بينها سيارة العروسين ليكون ذلك إعلاماً للجميع لينظروا إلى ما حرمه الله عز وجل.

كيف لمؤمن أن يرضى إعلام الناس بأمره، والسماح لهم للنظر إلى موكب زوجته التي خصه الله بها ليحافظ على شرفها وكرامتها وسمعتها.

ولا بد هنا من الإشارة إلى معصية كبيرة ترتكب في حفلات الزواج وهي التصوير لما يجري في هذه الحفلة، تصوير النساء وهن في أكمل زينتهن أثناء احتفالهن، أو رقصهن أو مايجري عادة في هذه الاحتفالات، ثم تعرض هذه الأفلام هنا وهناك ويراها القريب والبعيد، وقد تباع وتنشر في بلاد العالم على أنها «العرس الشامي» الذي تفتضح فيه أمور النساء اللواتي صُوِّرن في هذا الفلم بعلمهن أو بدون علمهن، وكم تكون النتائج وخيمة، منها خراب البيوت، وشقاء في الدنيا والآخرة، لذلك يجب التأكيد على عدم التصوير إلا ما خص العروس فقط، مع التنويه بأنه في هذه الأيام انتشر التصوير عن طريق الجوالات لذلك ينبغي على المؤمنات القانتات الحافظات للغيب، والتقيّات والورعات أن يتجنبن آلات التصوير جميعها، والابتعاد عنها وأن يبقين على لباسهن الشرعي المعتاد، حتى إذا ما التقطت لهن صورة عابرة فيظهرن في كامل لباسهن الشرعي المعروف.

اللهم وفقنا لطاعتك وقوِّ إرادتنا على تطبيقها وعدم الاكتراث بالناس وعاداتهم وكلامهم البعيد عن الشرع والدين والأخلاق والشرف.

وما أجمل في هذا المقام أن نذكر كيف تمت خطبة سيدنا علي من السيدة فاطمة رضي الله عنها وكيف تمت حفلة الخطبة والزواج، هذا الزواج المثالي الذي يذكر ليوم الدين، بما يحمله من إيمان وصدق وبساطة وإخلاص واستقامة.

زواج فاطمة رضي الله عنها:

في رواية أن علياً لما جاء الرسول ﷺ، سأله عن حاجته، فقال: ذكرت فاطمة بنت رسول الله ﷺ. فقال: مرحباً وأهلاً.

وقال رسول الله ﷺ لفاطمة «إن علياً يذكرك»، فسكتت، فزوجها إياه.

وفي رواية أن علياً لما خطب فاطمة الزهراء الهاشمية، قال له النبي ﷺ «هل عندك من شيء». قال: لا، قال: «فما فعلت بالدرع التي أصبتها»، - يعني من مغانم بدر، وهي من حديد -. فقلت: هي عندي.

قال ﷺ: «فأعطها إياها». فأصدقها علي فاطمة.

وباع عليٌ بعيراً له وبعض متاعه، فبلغ أربعمائة وثمانين درهماً.

فقال له الرسول ﷺ: «اجعل ثلثين في الطيب. وثلثاً في المتاع».

وتقول أم أيمن: مولاة رسول الله ﷺ وحاضنته، بعد موت أمه، وهي أم أسامة بن زيد بن حارثة: وليت جهاز فاطمة: وكان جهازها وسادة من أدم حشوها ليف، وقربة ومنخلاً ومنشفة وقدحاً، وغطاء مفروشاً في بيتها.

وفي ليلة زفاف علي بفاطمة قال رسول الله ﷺ:

«اللهم بارك فيهما، وبارك عليهما، وبارك لهما في نسلهما».

قال رسول الله ﷺ: «يا علي إنه لابد للعروس من وليمة».

فقال سعد: عندي كبش، وجمع له رهط من الأنصار آصعاً من ذرةٍ، فأولم بها.

قال علي: تزوجت فاطمة، ومالي ولها فراش غير جلد كبش تنام عليه بالليل.

هذا هو مثال عن الزواج الإسلامي، تيسير في كل شيء، ولو سهل أمر الزواج اليوم بهذا الشكل لما وجدنا شاباً أو فتاة بغير زواج، ولما انتشرت العنوسة بين الشباب والشابات.

عودة على بدء، إذا وصل العروسان إلى منزلهما يستحب لهما أن يدعوا بما جاء في الحديث عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا ولج الرجل بيته فليقل: اللهم إني أسألك خير المولج، وخير المخرج، باسمك اللهم ولجنا وخرجنا، وعلى الله ربنا توكلنا، ثم ليسلم على أهله». [أخرجه أبو داود].

ويستحب أن يضع الزوج يده على رأس عروسه ويسمي الله سبحانه، ويدعو لها بالبركة، لما روي عن النبي ﷺ قال:

«إذا تزوج أحدكم امرأة فليأخذ بناصيتها، وليسم الله عز وجل وليدع بالبركة، وليقل: اللهم إني أسألك من خيرها وخير ما جبلتها عليه (أي خلقها وطبعها عليه) وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه».

[أخرجه أبو داود والترمذي].

ويستحب للعروسين أن يصليا ركعتين ويدعوا الله سبحانه بعد الصلاة: لما أخرج ابن شيبة بسند جيد عن شقيق قال: جاء رجل يقال له: أبو حريز فقال: إني تزوجت جارية شابة، وإني أخاف أن تفركني (أي تبغضني) فقال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: إن الإلفَ من الله، والفِرْكَ من الشيطان يريد (أي الشيطان) أن يكره إليكم ما أحلَ الله لكم، فإذا أتتك فأمرها أن تصلي وراءك ركعتين وقل: «اللهم بارك لي في أهلي وبارك لهم فيّ، اللهم اجمع بيننا ما جمعت بخير، وفرق بيننا إذا فرقت إلى خير».

ويستحب أيضاً للزوج بعد أن يفرغ من الصلاة أن يسلم عليها، ويباسطها بالكلام الحسن مما يقتضي الفرح بها، لتزول الوحشة عنها، فإن لكل داخل دهشة، ولكل غريب وحشة، ويلاطفها ويقبل بوجهه إليها ثم يقدم إليها شيئاً تشربه وتأكله، روي أن أسماء بنت يزيد بن السكن قالت: قَيَّنْتُ (زينت) عائشة رضي الله عنها لجلوتها فجاء عليه الصلاة والسلام إلى جنبها، فأُتي بعُسٍّ لبن (قدح كبير) فشرب، ثم ناولها النبي ﷺ فخفضت رأسها واستحيت) [أخرجه أحمد في مسنده].

ويستحب أن يخلو الرجل بزوجته بالطريقة التي وجه إليها النبي ﷺ ودون إحراج الآخرين وتدخلهم، ولو كانوا أقرب الناس إلى الزوجين، فهي مرحلة حرجة لا بد أن تتم فصولها على أكمل وجه، لكن تدخل الآخرين وطلباتهم التي يريدونها أن تتحق بسرعة، وفي أول ليلة قد يشكل إرباكاً أو عائقاً أو إحراجاً للزوجين، يجعل من هذه الأيام الحلوة أياماً فيها الإحراج والحيرة والاضطراب والانفعال لذلك يجب على العروسين ألا يلتفتا إلى رغبات الآخرين وملاحظاتهم، وأن يدعا هذه المرحلة تتم بهدوء وتعاون وسرور

وتفاهم بينهما، وواجب الأهل والأقارب ترك المجال لهما للتفاهم فيما بينهما، دون تدخل أو طلبات ملزمة بل واجبهم الدعاء الدائم لهما:

(اللهم بارك لهما، وبارك عليهما، وألف بينهما على خير، واجعل منهما النسل الطيب).

ـ وما أجمل في هذا الوقت أن نتذكر قصة شريح القاضي، فقد نصح شريح الشعبي بأن يتزوج من نساء بني تميم فقال شريح: يا شعبي عليك بنساء بني تميم فإني رأيت لهن عقولاً، قال الشعبي: وما رأيت من عقولهن؟ فحكى له شريح أنه مر ذات مرة بامرأة عجوز على باب دار وبجوارها جارية جميلة، فطلب منهما أن تسقياه، فقالت الجارية لشريح: أي الشراب أحب إليك؟ قال شريح: ما تيسر، قالت العجوز: ويحك يا جارية، ائتيه بلبن فإني أظن الرجل غريباً، ثم سأل شريح العجوز عن الجارية وعلم اسمها واسم أبيها وعرف أنها غير متزوجة، فتقدم إلى أهلها وطلبها منهم فزوجوه منها أو فزوجوها منه، قال شريح: فلو رأيتني يا شعبي وقد أقبل نساؤهم يهدينها حتى أدخلت علي، فقلت: إن من السنة إذا دخلت المرأة على زوجها أن يقوم فيصلي ركعتين فيسأل الله من خيرها، ويعوذ به من شرها فصليت وسلمت، فإذا هي من خلفي تصلي بصلاتي، فلما دنوت منها فمددت يدي إلى ناصيتها، فقالت: على رسلك أبا أمية كما أنت، ثم قالت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على محمد وآله، إني امرأة غريبة لا علم لي بأخلاقك، فبين لي ما تحب فآتيه، وما تكره فأزدجر عنه، وقالت: إنه قد كان لك في قومك منكح وفي قومي مثل ذلك، ولكن إذا قضى الله أمراً كان، وقد ملكت فاصنع ما أمرك الله به، إمساك بمعروف أو تسريح بإحسان، أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولك.

قال شريح: فأحوجتني والله يا شعبي إلى الخطبة في ذلك الوقت، فقلت: الحمد لله أحمده وأستعينه وأصلي على النبي وآله وسلم وبعد فإنك قد قلت كلاماً إن تثبتي عليه يكن ذلك حظك وإن تدعيه يكن حجة عليك، أحب كذا وأكره كذا، ونحن جميع فلا تفرقي، وما رأيت من حسنة فانشريها، وما رأيت من سيئة فاستريها.

قالت: وكيف محبتك لزيارة الأهل؟ قلت: ما أحب أن يملني أصهاري، قالت: فمن تحب من جيرانك أن يدخل دارك آذن لهم، ومن تكره أكره، قلت: بنو فلان قوم صالحون، وبنو فلان قوم سوء.

ثم ذكر شريح للشعبي أنه مكث مع زوجته أكثر من عشرين سنة لم يجد من تلك الزوجة ما يغضبه إلا مرة واحدة ذكر أنه هو المخطىء.

هلا تكون هذه القصة نبراساً صالحاً لكل زوجين صالحين مؤمنين، اللهم آمين.

❑ ❑ ❑

الفصل الرابع
حقوق الزوجين في الزواج المبارك

وضع الإسلام أمام كل من الزوجين منهجاً شاملاً متكاملاً يوضح شكل العلاقة الصحيحة بين الزوجين وبين حقوق كل منهما تجاه الآخر وأظهر الحقوق المشتركة بينهما، وفي الزواج المبارك يجب أن يلتزم كل من الزوجين بحقوق الآخر عندها تتم السعادة ويتحقق الوفاق الدائم بينهما ويكون بذلك زواجهما مباركاً، لا تعكرهما أحزان المشاكل، ولا تقلقهما حادثات الليالي، وحقوق الزوجية ثلاثة:

أ ـ حق الزوج على زوجته.

ب ـ حق الزوجة على زوجها.

جـ ـ حقوق مشتركة بينهما.

أولاً ـ حقوق الزوج:

إن كثيراً من الزوجات يطالبن بحقوقهن، وإن وصايا النبي ﷺ للرجال بالنساء خيراً لا يعني إهمال الزوجة حقوق زوجها، فضلاً عن عظم حق الزوج الذي أصبح على المرأة أشد وأخطر من حقوق والديها عليها كما ذكر ذلك أهل العلم لما روي عن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله ﷺ أي الناس أعظم حقاً على المرأة؟ قال: «زوجها»، قلت: فأي الناس أعظم حقاً على الزوج؟ قال: «أمه». [أخرجه الحاكم والبزار].

ولقد أوجب الإسلام على الزوجة حقوقاً تجاه زوجها ينبغي أن تقوم بأدائها على أحسن وجه وأكمل صورة، وهي مسؤولة عنها أمام الله عز وجل إذا قصرت فيها وهي كثيرة أذكر منها:

١ ـ **إطاعته بالمعروف**: وهذه الطاعة أمر طبيعي تقتضيه الحياة المشتركة بين الزوج والزوجة ولا شك أن طاعة المرأة لزوجها يحفظ كيان الأسرة من التصدع والانهيار، وتبعث إلى محبة الزوج القلبية لزوجته، وتعمق رابطة التآلف والمودة بين أعضاء الأسرة، وتقضي على آفة الجدل والعناد التي تؤدي في الغالب إلى المنازعة، وتعطي الرجل أحقية القوامة ورعاية الأسرة بما وهبه الله من خصائص القوة والتعقل، وبما كلفه به من مسؤولية الإنفاق، وصدق الله العظيم القائل في محكم تنزيله:

﴿ ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُوا۟ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ ﴾ [النساء: ٣٤].

والطاعة لا تكون إلا بالمعروف، أما إذا أمرها بمعصية فلا سمع حينذاك ولا طاعة، قال رسول الله ﷺ: «**لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق**».

[أخرجه أحمد والحاكم].

فطاعة الزوجة لزوجها واجبة، فإذا اتصفت بها نالت رضى الله عز وجل ورضى زوجها وأهلها وأهله ومن حولها وعاشت معه في طمأنينة وسرور.

عن حصين بن محصن قال: حدثتني عمتي قالت: أتيت رسول الله ﷺ فقال: «**أي هذه، أذات بعل؟**»، قلت: نعم، قال: «**كيف أنت منه؟**»، قلت: ما آلوه إلا ما عجزت، قال: «**فانظري أين أنت منه، فإنما هم جنتك ونارك**».

[أخرجه أحمد والنسائي].

وإن طاعة الزوج ورضاه عن زوجته من أعظم الأسباب لدخولها الجنة إذا هي آمنت بالله عز وجل قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجها عنها راض دخلت الجنة**». [أخرجه الترمذي وحسنه، وابن ماجه والحاكم وصححه].

ومن زيادة التكريم أن المرأة المطيعة لزوجها تخير يوم القيامة في دخول الجنة من أي أبوابها شاءت، إذا هي صلت وصامت وعفت، قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت**».

[أخرجه أحمد والطبراني، وأبو نعيم في الحلية عن أنس رضي الله عنه].

وطاعة المرأة لزوجها يعدل أجر الجهاد في سبيل الله عز وجل.

فقد جاءت امرأة إلى رسول الله ﷺ فقالت: أنا وافدة النساء إليك هذا الجهاد كتبه الله تعالى على الرجال، فإن أصيبوا أثيبوا (أُجروا)، وإن قتلوا كانوا أحياء عند ربهم يرزقون، ونحن معشر النساء نقوم عليهم، فما لنا من ذلك الأجر؟ فقال عليه الصلاة والسلام: «أبلغي من لقيت من النساء أن طاعة للزوج، واعترافاً لحقه يعدل ذلك (أي يعدل أجر الجهاد في سبيل الله)، وقليل منكن من يفعله». [أخرجه البزار والطبراني].

وعن الحسن بن يحيى أن عائشة رضي الله عنها كانت تقول: خليفة الله تعالى على المرأة زوجها، فإذا رضي عنها زوجها رضي الله عنها، وإذا سخط عليها سخط الله عليها وملائكته.

وكانت تقول: من حق الزوج على المرأة أن تلزم فراشه، وتتجنب سخطه وتتبع مرضاته، وتوفر كسبه، ولا تعصي له أمراً، وتحفظه في نفسها، ولا تخونه في فرجها، وإذا فعلت ذلك كانت في الجنة.

وعلى الزوجة أن تعلم أن طاعتها لزوجها لا تنقص من قدرها، بل هي من مقتضيات الحياة الزوجية، تحفظ كيان الأسرة من التصدع، وتحقق معاني الود والرحمة في قلوب الأزواج جميعاً، وتضمن للحياة الأسرية الهدوء والسعادة والاطمئنان، إن على الزوجة المسلمة أن تحفظ قول النبي ﷺ:

«أعظم الناس حقاً عليها هو زوجها». [أخرجه البزار بإسناد حسن، والحاكم].

٢ ـ أن تصون عرض زوجها: وتحافظ على شرفها، وترعى أولاده وتربيهم، وتحفظ أمواله، ولا تخونه في قليل أو كثير، لأن خيانته خيانة الله عز وجل ورسوله ﷺ، قال تعالى:

﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾. [النساء: ٣٤].

وعليه فيجب أن تغض الزوجة بصرها، وتخفض صوتها، وتكف يدها عن الأذى، ولسانها عن السوء، ولا تتطلع إلى غير زوجها ومحارمها بنظرة أو ابتسامة أو كلمة، ولا تعطي شيئاً من بيت زوجها إلا بإذنه، ولا تدخل إلى

بيته من يكرهه، ولو كان أباها أو أخاها، ولا تخرج من بيته إلا بإذنه، فإن خرجت لعنتها الملائكة حتى ترجع، ولا تصوم بحضوره يوماً واحداً تطوعاً إلا بإذنه، ولا تمنعه من نفسها، ولا تهجر فراشه، ولا تفخر عليه بأهل أو مال أو شهادة أو وظيفة، أو حسب أو نسب، أو جمال.

عندما تكون الزوجة بهذه الصفات فإن النبي ﷺ جعلها أثمن ما في الدنيا بعد تقوى الله فقال ﷺ:

«ما استفاد المؤمن بعد تقوى الله عز وجل خيراً له من الزوجة الصالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها حفظته في نفسها وماله». [أخرجه أبو داود والنسائي].

فبين النبي ﷺ في هذا الحديث أن طاعة الزوجة لزوجها شرط من شروط صلاحها، وعلامة من علامات إيمانها.

٣ ـ مراعاة كرامته وشعوره:

فلا يرى منها في البيت إلا ما يحب ولا يسمع منها إلا ما يرضى، ولا يستشعر منها إلا ما يفرح.

والزوج في الحقيقة إذا لم يجد في بيته الزوجة الأنيقة النظيفة اللطيفة ذات البسمة الحلوة، والحديث العذب، والحب المخلص، والأخلاق العالية، ويجد عندها الحنان والرحمة، فإن لم يجد كل هذه الأمور فأين يجدها؟!.

فأشقى الناس من رأى الشقاوة في بيته، وهو بين أهله وأولاده، وأسعد الناس من رأى السعادة في بيته وهو بين أهله وأولاده.

والزوجة الصالحة لا تُسمع زوجها إلا ما يحب من مدح وثناء وشكر، فلا تتكلم عنه أو عن أهله إلا ما يزيده محبة لها، ولا تستهزىء بزوجها أو أهله، فلا تشعره إلا بكرامته، ولا تحسسه إلا بمنزلته الغالية عندها، ولا تعاتبه في أي أمر من أموره، أوصى أبو الأسود الدؤلي ابنته فقال لها: (إياك وكثرة العتب فإنه يورث البغضاء).

٤ ـ التودد له:

(من أهم صفات الزوجة الصالحة الودُّ والرحمة، وأن تتحبب إلى زوجها.

والتحبب صفة زائدة عن الطاعة متميزة عنها، وعلى الزوجة أن تدرك أن محبة زوجها لها تأتي من حسن المعاملة، والتودد والاهتمام به، لا من السحرة والكهنة والمشعوذين.

فالزوجة الودود: المتحببة إلى زوجها لا تستغني عنه، ولا ترضى إلا برضاه، مؤازرة له في حياته، معينة له على طاعة ربه، مخلصة في حبه، رحيمة به، لا تدخر جهداً في إرضائه، ولا تضيع طريقاً يوصلها إلى قلبه، إنما هو جنتها إذا مات عنها وهو راض، ونارها إذا مات وهو عنها غضبان.

والزوجة الودود: هي التي تسارع إلى فعل ما يدخل السرور على قلب زوجها قبل أن يأمرها به، فضلاً عن امتثال أوامره وفي ذلك يقول سيدنا محمد ﷺ: «إن الله يحب البزغة الملقة» [ذكره الهيثمي في مجمع الزوائد].

يعني المتحببة إلى زوجها المتوددة إليه بشتى الوسائل الشرعية، وهي تعرف الصفات التي يحب الزوج أن تتحلى بها ثم تسارع إلى التخلق بها وفعلها تقرباً إلى زوجها، فالزوج غالب أوقاته خارج بيته، تشغله الهموم والأعمال، أو يتعرض لكثير من المشاكل، وهو يحب أن يعود إلى بيته فيجد زوجته متفرغة له فيما يهوى).

[انظر كتاب صفات الزوجة الصالحة، عبد الحكيم عطية ص (٦٣)].

فالزوجة المؤمنة الصالحة في الزواج المبارك هي الزوجة التي تشبع غرور زوجها، فهي زوجة ذكية لبقة تحرص على استرضاء زوجها، وكسب مودته ومحبته ببعض الكلمات الرقيقة المؤثرة، والثناء عليه وعلى كرمه، وتبالغ في مدحه، وتحدثه عن عطفه عليها حتى ولو كانت هذه المشاعر غير حقيقية، فهذا ليس كذباً، ولكنه مما أباحه النبي ﷺ وأنه كذب حلال في المشاعر الزوجية لإرضاء زوجها واستمالته وكسب حبه ومودته.

(ولا يغيب عن بال المرأة المسلمة الواعية للحقيقة أنه من أَجَلِّ أعمالها

في الحياة، بعد عبادة ربها، أن تنجح في الدخول إلى قلب زوجها، وأن تملأ نفسه بحيث يحس في قرارة نفسه أنه سعيد باقترانه بها، هنيء في عيشه معها، منعم بصحبتها، ومن هنا فهي تستخدم ذكاءها في معرفة الوسائط والأسباب التي تفتح مغاليق قلب زوجها، لتدلف إليه يسراً وسماحة وغبطة، ولتجلس على عرشه منعمة هانية سعيدة.

إنها لتدرك أنها خير متاع في الدنيا في حس الرجل، كما جاء في الحديث الذي رواه عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ:

«الدنيا متاع وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة». [أخرجه مسلم].

ولا يغيب عنا أنها تكون خير متاع الدنيا، إن هي عرفت كيف تدخل قلب زوجها وتملأ نفسه، أما إذا لم تعرف كيف تدخل قلب زوجها ولم تملأ نفسه، فإنها تكون في الغالب مصدر شقاء لزوجها وتعاسته ونكده، وهذا ما أكده رسول الله ﷺ بقوله:

«من سعادة ابن آدم ثلاثة، ومن شقوة ابن آدم ثلاثة، من سعادة ابن آدم: المرأة الصالحة، والمسكن الصالح، والركب الصالح، ومن شقوة ابن آدم: المرأة السوء، والمسكن السوء، والركب السوء». [أخرجه أحمد].

ومن هنا كان حسن تبعل المرأة زوجها، ودخولها قلبه من الدين لأن في ذلك عفة الرجل وحصانته، وتوطيداً لدعائم الأسرة ومتانتها، وسعادة لها ولزوجها ولأولاده).

[انظر كتاب شخصية المرأة المسلمة، د. محمد علي الهاشمي ص(١٩٥)].

٥ ـ حفظها لبيتها ورعايتها أسرتها:

الزوجة الصالحة تتمسك بأهم مهامها على أكمل وجه وتعرف مسؤوليتها عن رعاية بيتها وأولادها وتهيئة الجو المناسب لهم من السعادة والدفء والحنان، وتربيتهم تربية إسلامية صحيحة، تردد دائماً قول النبي ﷺ:

«المرأة راعية على بيت بعلها وولده». [أخرجه مسلم].

كما أنها تقوم بواجباتها المنزلية وتلبية حاجات أسرتها من الطعام والشراب واللبس وتهيئة المسكن على أكمل وجه وأتم صورة.

ولقد تحدث الإمام أبو حامد الغزالي عن حفظ الزوجة لبيتها ورعايتها أسرتها، وهو يحدد فوائد الزواج فقال: الفائدة الرابعة، تفريغ القلب عن تدبير المنزل، والتكفل بشغل الطبخ والكنس والفرش وتنظيف الأواني وتهيئة أسباب المعيشة، إذ لو تكفل بجميع أشغال المنزل لضاع أكثر أوقاته، ولم يتفرغ للعلم والعمل، فالمرأة المصلحة للمنزل عون على الدين بهذه الطريق، لذلك قال أبو سليمان الداراني رحمه الله: الزوجة الصالحة ليست من الدنيا، فإنها تفرغك للآخرة، وإنما تفريغها بتدبير المنزل وبقضاء الشهوة جميعاً.

[إحياء علوم الدين ج٣ ص٤١ ـ ٤٢].

فقيام الزوجة بخدمة زوجها بالمعروف يعينه على أمر دينه ودنياه، ولا شك أن تقصيرها في هذا سوف يعوق عمله ورسالته في الحياة، لأنه سيضطر لعمل ما قصرت فيه، أو ما لم تؤده، فتتعطل أعمال أخرى كان من المقرر أن يعملها لا يقوم بها غيره.

ونظراً لرسالة المرأة في تدبير المنزل ورعاية الأبناء فقد خفف الإسلام عليها بعض الأحكام، مثل صلوات الجماعة في المسجد، وإسقاط صلاة الجمعة عنها، وأسقط عنها الجهاد والقتال في المعركة إلى غير ذلك من الأمور التي ندب إليها أو أوجبها على الرجال.

٦ ـ حفظها لمال زوجها:

ومن مظاهر هذا الحفظ أن لا تنفق من مال زوجها إلا بإذنه وإذا أنفقت تنفق بحكمة ودراية دون تبذير أو إسراف أو مغالاة.

تردد قول النبي ﷺ: «لا تنفق المرأة من بيت زوجها إلا بإذن زوجها».
[أخرجه الترمذي وقال حديث حسن صحيح].

ولقد بين الله عز وجل حالة الإنفاق بحسب حال الزوج في يسره وعسره فقال سبحانه وتعالى:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق : ٧].

فالزوجة الصالحة تصبر على حال زوجها في حالة العسر واليسر، ولا تكلفه ما لا يطيق، بل تقدر واقعه تماماً وتحاول أن تكيف نفسها ومتطلباتها حسب حال زوجها، لئلا يكون ذلك سبباً في سلوك الرجل طرقاً ملتوية لا يبالي سواء كانت من حلال أو من حرام من أجل أن يلبي متطلبات زوجته المتزايدة والكثيرة.

فقد ورد في الأثر (يأتي زمان على الناس يكون فيه هلاك المرء على يد زوجته وأولاده، يعيرونه ضيق المعيشة فيؤدي نفسه المهالك).

٧ ـ تلبية طلباته وعدم الانشغال عنه:

الزوجة الصالحة هي التي تضع برنامجاً يومياً توزع فيه أوقاتها بين جميع المتطلبات دون أن يطغى عمل على عمل.

لخدمة البيت وقت، وللإشراف على الأولاد وقت، وللتفرغ للزوج وقت لا بد منه حتى يدوم الحب والوئام.

وقبل كل ذلك فإن لله عز وجل عليها حق يجب أن تؤديه في أوقاته من صلاة وذكر وقرآن وحضور دروس العلم.

والزوجة الصالحة هي التي تستطيع التوفيق بين عبادة ربها ورعاية زوجها دون الإخلال بواحدة منها، ولا يجوز للمرأة أن تنشغل بالنوافل كقيام الليل أو الصيام أو حضور دروس العلم، وتهمل بيتها وزوجها وأسرتها، فالمرأة التي تقصر في حق زوجها إنما هي تقصر في حق ربها دون أن تشعر قال ﷺ:

«لا تصم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه». أي صيام التطوع والنافلة. [أخرجه مسلم].

وجاءت امرأة إلى النبي ﷺ تسأله عن حاجة، فقال لها رسول الله ﷺ:

«أذات زوج أنت؟» فقالت: نعم، قال: «كيف أنت له؟» فقالت: ما آلو إلا ما عجزت عنه، فقال رسول الله ﷺ:

«فانظري أين أنت منه فإنه جنتك ونارك».

[أخرجه الحاكم وهو حديث صحيح].

ولقد عبرت أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها عن أهمية حق الزوج على المرأة في حديثها الذي تقول فيه: «يا معشر النساء، لو تعلمن بحق أزواجكن عليكن، لجعلت المرأة منكن تمسح الغبار عن قدمي زوجها بحر وجهها». [أخرجه البزار وابن حبان في صحيحه].

إن المرأة المسلمة الحصينة الودود تتعرف على ميول زوجها ورغباته وعاداته وتعمل على مراعاتها، ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، ابتغاء التفاهم والانسجام في مسيرة الحياة الزوجية، ودفعاً للسأم والتذمر من رتابتها، وهذا ما تفعله كل امرأة ذكية واعية نابهة.

٨ ـ أن تتحلى بالصبر والشكر وبالعفة والقناعة:

فالزوجة الصالحة تصبر على حالها مع زوجها وخاصة في أيام الأزمات والمصاعب والمتاعب وقلة الرزق والعيش، وتصبر مع زوجها في كفاحه في هذه الحياة، بل تكون معينة له عند الشدائد وضيق العيش، مساعدة ومساندة له على تحملها والصبر على شأنها.

كما أنها يجب أن تتحلى بالشكر لله ولزوجها وخاصة عندما يكرمها زوجها ويسعى لإسعادها، ويقدم لها ما يستطيع، فهي شاكرة للقليل والكثير، دائماً تظهر شكرها لمجهوده ولو كان قليلاً، ولعطائه وهداياه وإن كانت بسيطة، لا تنكر له معروفاً، بل تظهره كبيراً، وتظهر فرحها وسعادتها به، مع شكرها الجزيل له.

امتثالاً لقوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ﴾ [الرحمن: ٦٠].

فالزوج الصالح أحق الناس بالشكر وأولاهم بالمعروف من زوجته وأولاده، عملاً بقول النبي ﷺ: «لا يشكر الله من لم يشكر الناس».

[أخرجه ابن حبان في صحيحه].

والزوجة الصالحة تعلم علم اليقين فضل زوجها عليها فإذا رأت منه معروفاً كانت له شاكرة محسنة لا تنكر له معروفاً، حتى لو رأت منه زلة فإنها تتجاوز عنه وتتعوذ بالله من شر الشيطان ووسوسته.

خائفة مما وصف النبي ﷺ بعض النساء بقوله: «**رأيت أكثر أهلها ـ يعني النار ـ النساء**» قالوا: بمَ يا رسول الله؟ قال: «**بكفر العشير وبكفر الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر كله ثم رأت منك شيئاً، قالت: ما رأيت منك خيراً قط**». [أخرجه مسلم].

كذلك فإن الزوجة الصالحة تعف عما في أيدي الناس، وتقر عينها بما آتاها الله من فضله حامدة لربها، شاكرة لفضله ونعمه، كذلك فهي قانعة بما رزقها الله من الخير والفضل، راضية بقضاء الله وقدره، فلا تكلف زوجها من الطلبات ما لا يطيق، بل تقدر واقعها تماماً، وتحاول أن تكيف حياتها ومعيشتها وإنفاقها حسب حالة زوجها.

فمن صفات الزوجة الصالحة الصبر على البلاء وضيق المعيشة وغيرها من المصائب التي تعترض الحياة، فأحوال الزوج لا تكون على حالة واحدة بل تكون بين يسر وعسر، أو ربما يصاب بمرض، أو نقص في المال أو الولدان، كأن تبتلى بالعقم في نفسها أو زوجها فلتعلم أن جزاء الصبر كبير عند الله تعالى وثوابه الجنة، تردد في تلك المصائب قول الله عز وجل:

﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلْخَوْفِ وَٱلْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِ ۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓا۟ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ ﴾.

[البقرة: ١٥٥ ـ ١٥٦].

وتمتثل أمر الرسول ﷺ حيث يقول: «**ما من مسلم تصيبه مصيبة فيقول: ما أمره الله: إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم أجرني في مصيبتي واخلفني خيراً منها، إلا أخلف الله له خيراً منها**». [أخرجه مسلم].

فالزوجة الصالحة هي من تصبر على حال زوجها، وأحوال معيشته صبراً جميلاً، ولا تشتكي حالها لغيرها، ومهما وصلت حالة زوجها من البؤس والفقر فلن تكون مثل أحوال الأولين، فقد كانت أحوالهم بحق قاسية، أما

اليوم فقد توفرت وسائل الراحة والرفاهية إلى حد بعيد، لقد صبرت زوجات الصحابة رضوان الله عليهم على أحوالهم صبراً جميلاً، ومن هؤلاء فاطمة الزهراء بنت رسول الله ﷺ فقد عاشت مع زوجها علي بن أبي طالب رضي الله عنه في أحوال قاسية فتحملت واصطبرت.

يقول سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: كانت فاطمة ابنة رسول الله ﷺ وأكرم أهله عليه، وكانت زوجتي، فجرَّت بالرحى حتى أثرت الرحى في يدها، واستقت بالقربة حتى أثرت القربة بنحرها، وقمَّت البيت ـ يعني نظفته ـ حتى اغبرت ثيابها، وأوقدت القدر، وأصابها من ذلك ضرر.

[حلية الأولياء ج٢ ص٤١].

وفي رواية ابن إسحق: «لقد طحنت فاطمة رضي الله عنها حتى مجلت يدها» ـ أي ثخن جلدها وتفجر، وظهر فيها ما يشبه البثر.

ويحكي عطاء بن السائب عن أبيه قوله:

إن فاطمة كانت حاملاً فكانت إذا خبزت أصابت حرف التنور ـ الفرن ـ بطنها، فأتت النبي ﷺ تسأله خادماً، فقال: لا أعطيك خادماً وأدع أهل الصفة، تضوي بطونهم من الجوع، ألا أدلك على خير من ذلك؟! إذا أويت إلى فراشك تسبحين الله ثلاثاً وثلاثين، وتحمدينه ثلاثاً وثلاثين، وتكبرينه أربعاً وثلاثين. [حلية الأولياء ج٢ ص٤١].

وفي الصحيحين قوله عليه الصلاة والسلام لها: «اتق الله يا فاطمة، وأدي فريضة ربك، واعملي عمل أهلك، وإذا أخذت مضجعك فسبحي الله ثلاثاً وثلاثين، واحمدي ثلاثاً وثلاثين، وكبري أربعاً وثلاثين، فتلك مائة، فهو خير لك من خادم»، قالت فاطمة رضي الله عنها: رضيت عن الله وعن رسول الله.

وهذه أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما ـ ذات النطاقين ـ تحكي عن نفسها فتقول: تزوجني الزبير وماله في الأرض مال ولا مملوك، ولا شيء غير فرسه، وناضحة بعيره الذي يستقي عليه الماء، فكنت أعلف فرسه، وأكفيه مؤونته، وأسوسه، وأدق النوى لناضحه وأعلفه وأسقيه الماء، وأخرز غربه ـ يعني تخيط الدلو بالخرز ـ وأعجن ولم أكن أحسن الخبز، فكان يخبز

جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير -التي أقطعه رسول الله ﷺ على رأسي، وهي على ثلثي فرسخ (حوالي ساعة مشياً تقريباً).

وقالت: فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ ومعه نفر من أصحابه، فدعاني، ثم قال: «نخ نخ»-كلمة تقال للجمل ليسكن فيستنيخ ناقته- ليحملني خلفه، فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت غيرته، قالت: وكان من أغير الناس، فعرف رسول الله ﷺ أني استحييت فمضى، فجئت الزبير فقلت: لقيني رسول الله ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه، فأناخ لأركب معه، فاستحييت، وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى على رأسك كان أشد علي من ركوبك معه ﷺ، قالت: حتى أرسل أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس، فكأنما أعتقني.

[ابن سعيد في الطبقات ص٢٧ وخرجاه الشيخان وغيرهما].

ولقد كان الزبير شديداً عليها فذهبت تشتكي لأبيها أبي بكر رضي الله عنه فقال: يا بنية اصبري فإن المرأة إذا كان لها زوج صالح ثم مات عنها، فلم تتزوج بعده، جمع الله بينهما في الجنة.

[ابن سعيد في الطبقات ص٢٧ وخرجاه الشيخان وغيرهما].

هذه أهم حقوق الزوج على زوجته أي أهم واجبات الزوجة الصالحة تجاه زوجها المؤمن الصالح.

فما حقوق هذه الزوجة أي واجبات الزوج تجاه هذه الزوجة الصالحة؟.



ثانياً ـ حقوق الزوجة:

كما أن للزوج على زوجته حقوقاً كثيرة، فإن للزوجة أيضاً على زوجها حقوقاً كثيرة وإن أي خلل في أداء هذه الحقوق سيكون سبباً في هدم العلاقة الزوجية وعدم السعادة وقد يؤدي ذلك إلى الفراق لا سمح الله ولا قدر.

[انظر كتاب آداب الخطبة والزفاف وحقوق الزوجة، عبد الله علوان].

لذلك يجب على كل منهما أن يسعى لأداء الواجبات التي عليه أن يتحلى بها تجاه الآخر وذلك بإعطاء كل ذي حق حقه، وأهم حقوق الزوجة على زوجها ما يلي:

١ ـ توفية مهرها كاملاً: امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ وَءَاتُواْ ٱلنِّسَآءَ صَدُقَٰتِهِنَّ نِحْلَةً ﴾ [النساء: ٤].

فلا يجوز للزوج ولا لغيره من أب أو أخ وغيرهم أن يأخذ من مهرها شيئاً، قال تعالى:

﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ ٱسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ وَءَاتَيْتُمْ إِحْدَىٰهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُواْ مِنْهُ شَيْـًٔا أَتَأْخُذُونَهُۥ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴾ [النساء: ٢٠].

والأمثل أن يعطي الزوج كامل المهر إلى زوجته منذ بداية الزواج وعدم التأخير إلى وقت آخر، وهذا هو الشرع ولكن جاء العرف بقاعدة المساعدة للزوج أمام الظروف الاقتصادية بأن يكون المهر على قسمين: معجل ومؤجل، فيعطي الزوجة المعجل ويبقى المؤجل في ذمة الزوج يؤديه عندما يستطيع أداءه في المستقبل.

ومن المؤسف اليوم أن يسيطر عرف يبتعد عن الشرع كثيراً وهو أن يكون المعجل والمؤجل غير مقبوضين ويتم الزواج بذلك بدون دفع أي مبلغ من المهر إلى الزوجة، وهذا مخالف للشرع فإن فيه إهانة للزوجة في عدم إعطائها الحق الشرعي كما رسمه الشرع، ويبقى المهر معلقاً لا تستفيد منه الزوجة في حياتها، ومن المؤسف أن تصبح قيمة المهر بعد مرور سنوات لا قيمة له تتناسب مع الزمن وتطوراته.

وماذا تستفيد المرأة من مهرها إن قدر الله لها الموت دون أن تنتفع به، وتشعر بكرامتها وتستفيد من مهرها فيما يدخل السرور عليها.

لذلك يجب على الزوج المقتدر أن يدفع كامل المهر عند عقد الزواج وإلا فيدفع المقدم ويؤخر المؤخر إلى الوقت الذي يستطيعه فيدفعه مباشرة دون تأخير وحبذا أن يكون بما يتناسب مع هذا التأخير.

٢ ـ الإنفاق عليها:

فيجب على الزوج الإنفاق على زوجته في الطعام والشراب والمسكن والكسوة والعلاج وغير ذلك لقوله تعالى:

﴿ وَعَلَى ٱلْمَوْلُودِ لَهُۥ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

ولما روى مسلم عن النبي ﷺ أنه قال:

«اتقوا الله في النساء فإنكم أخذتموهن بأمانة الله، فاستحللتم فروجهن بكلمة الله، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف».

وفي هذا الموضوع يتحدث النبي ﷺ ويحدد بعض واجبات الزوج، فقد سئل ﷺ ما حق زوجة أحدنا عليه فقال ﷺ:

«أن يطعمها إذا طعم، ويكسوها إذا اكتسى، ولا يضرب الوجه، ولا يقبح، ولا يهجر إلا في البيت».

[أخرجه أحمد وابن ماجه وأبو داود والنسائي وغيرهم].

٣ ـ معاشرتها بالمعروف:

وذلك امتثالاً لقوله تعالى:

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [النساء: ١٩].

وللمعاشرة بالمعروف وجوه كثيرة منها:

أ ـ التوسيع بالنفقة إذا وسع الله على الزوج وعدم البخل على زوجته قال تعالى: ﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ﴾ [الطلاق: ٧].

ولقول النبي ﷺ:

«إذا أنفق الرجل على أهله نفقة يحتسبها فهي صدقة». [أخرجه البخاري].

ب ـ احترامها وتقديرها وعدم الاستهانة بها وأخذ رأيها واستشارتها في قوامة البيت وخطبة البنات لقوله ﷺ: «آمروا النساء في بناتهن». أي استشيروهن في خطبة النساء. [أخرجه أحمد وأبو داود].

جـ ـ الإغضاء عن بعض نقائصها: ولا سيما إذا كان لها محاسن ومكارم لقول النبي ﷺ: «لا يفرك ـ لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر». [أخرجه مسلم].

د ـ ممازحتها وملاطفتها، والاستماع إليها لما يحلو لها من مرح ومزاح (دخل النبي ﷺ على السيدة عائشة رضي الله عنها يوم عيد، فوجد عندها فتاتين قد أخذتا تغنيان بأشعار حربية ولما لم يكن إلا بيت واحد ـ أي غرفة واحدة ـ فقد استلقى على فراشه وولى ظهره إليهن، ولما دخل أبو بكر عنف ابنته عائشة فقال ﷺ: «دعهن يا أبا بكر فإن لكل قوم عيداً، وهذا عيدنا» [أخرجه البخاري].

هـ ـ مساعدتها في أعمال المنزل ولا سيما وقت مرضها وزحمة أعمالها؛ اقتداءً بالنبي ﷺ في مساعدة أزواجه، فقد سئلت السيدة عائشة رضي الله عنها ما كان النبي ﷺ يصنع في أهله؟ قالت: (كان عليه الصلاة والسلام يخدم في مهنة أهله، ويقم بيته ـ يكنسه ـ، ويرفو ثوبه ـ يرقعه ـ ويخصف نعله، ويحلب شاته، فإذا حضرت الصلاة قام إلى الصلاة». [أخرجه البخاري].



ثالثاً ـ حقوق مشتركة بينهما:

في الزواج المبارك هناك حقوق مشتركة يجب أن يؤديها كل من الزوجين للآخر، ومن أهم هذه الحقوق:

١ ـ التعاون على أداء الواجبات الدينية:

الزواج المبارك الذي نتحدث عنه، هو القائم على حدود الله وشرعه، وعلى كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، والاختيار الصحيح الذي بني على الانتقاء وقام على أساس الدين، أساسه زوجة صالحة، وزوج صالح، زوجة بحثت عن الدين والخلق، وزوج اشترط ذات الدين فظفر بها، والغاية من كل ذلك أن يكون هذا الزواج مبنياً على ما يرضي الله عز وجل ورسوله الكريم، وبذلك يتحقق للزوجين سعادة الدارين.

لذلك فإن من أهم ما يجب أن يتابعه الزوجان الحرص على تطبيق الشريعة كاملة من قرآن وسنة في جميع سلوكهما وحياتهما، ويجب أن لا ينسيا وهما في خضم الحياة المادية ومتطلباتها التعاون على طاعة الله تعالى، من قراءة للقرآن، وأداء للفرائض، والمسارعة إلى أداء النوافل جميعها، ولا شك أن كلاً منا يعود جائعاً يطلب الطعام، لكن لا نريد أن ننسى الآخرة، ولا نريد أن ننسى أن نذكِّر زوجاتنا بالصلوات المفروضة ثم بالنوافل، وأفعال الخير.

حينما يرجع الزوج إلى بيته هل يسأل زوجته أول ما يسأل، هل صليت العشاء؟ أم يسألها هل جهزت العشاء؟.

هل فكر الزوج أن يستيقظ ليلاً فيصلي ركعتين ويوقظ أهله فإن أبت نضح في وجهها الماء بتلطف لتستيقظ فتصلي معه.

أم هل فكرت الزوجة المؤمنة الصالحة أن تستيقظ من الليل قبل زوجها المنهك من عمله بالنهار، فتحسن إيقاظه لتقوم وراءه مؤدية صلاة التهجد عند نزول الرحمات واستجابة الدعوات، مستحضرين حديث النبي ﷺ:

«رحم الله رجلاً قام من الليل فصلى، وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضخ في وجهها الماء، رحم الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها، فإن أبى نضخت في وجهه الماء».

[أخرجه أبو داود والنسائي وأحمد وغيرهما].

وعن أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ:

«إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله، وصليا ركعتين، كتبا من الذاكرين كثيراً والذاكرات». [أخرجه أبو داود وابن ماجه وابن حبان].

الزوجان الصالحان في الزواج المبارك المبني على الدين دائماً في حالة مراقبة لله وسعي لرضاته وعمل بأوامره وبعد عن نواهيه في كل شؤون حياتهما.

إن فتر الزوج عن الطاعة والعبادة أخذت بيده الزوجة وأعادته إلى مرضاة الله سبحانه، وبالمقابل إن فترت الزوجة عن الطاعة والعبادة أخذ الزوج الصالح بيدها إلى مرضاة الله سبحانه، وفي تاريخنا الإسلامي أمثلة رائعة في ذلك منها: دخلت الصحابية الجليلة سُعدى على زوجها طلحة بن عبيد الله فرأت على محياه سحابة هم لم تعرف سببها، وخشيت أن تكون قد قصرت في حق أو فرطت في واجب فبادرته قائلة: مالك لعلك رابك منا شيء فنعتبك؟ قال: لا، ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به.

قالت: وما يغمك منه، ادع قومك فاقسمه بينهم.

قال: يا غلام عليّ بقومي، فقسم أربعمائة ألف.

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن].

هكذا المرأة الصالحة تعين زوجها على طاعة الله وعبادته والتقرب منه، فهل الزوجات في هذا الزمان على هذه الشاكلة؟! نعم هناك من الزوجات الصالحات في هذا الزمن على هذا المستوى لأنهن قد تربين على مثل ذلك.

وقد يكون أحد الزوجين على علم ومعرفة ودراسة لأمور الدين وعلومه أكثر من الآخر، هنا لا بد من التعاون بينهما على أن يكمل أحدهما الآخر بهذه العلوم، وفي الغالب أن يكون الزوج على اطلاع على هذه العلوم أكثر من زوجته فيجب عليه أن يقوم بواجب تعليم زوجته ما لديه من العلم الشرعي فيعلمها أصول الدين، ويرسخ في قلبها حب الله وحب رسوله ﷺ، ويعلمها أحكام الطهارة وأحكام العبادات، ويعلمها نوافل العبادات، ويقوم معها بتطبيق كل ذلك مع التنافس في تطبيق مكارم الأخلاق، والبعد عن مساوئها، ويراقب قيامها بالعبادات من صلاة، وصيام، وأذكار، وغيرها، كما يحسن به أن يتعاهدها بالموعظة والتذكير، فيوصيها ونفسه بتقوى الله والعمل على رضاه سبحانه.

أليست جلسات هذا العلم وهذا التعهد والموعظة أفضل وأجمل وأعظم من إضاعة الوقت على المحطات الفضائية التي لا نفع فيها، بل هي سبب للتفكك الأسري وانتشار الخلافات بين الزوجين.

وكثيراً ما كان قدوتنا المثلى والأسوة الحسنة رسولنا ﷺ يقدم النصيحة لزوجاته وبناته، فقد روى أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ لفاطمة: «**ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به، أن تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث، أصلح لي شأني كله، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين**». [أخرجه النسائي وغيره].

وكذلك فقد قام رسول الله ﷺ بتعليم أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها ذكراً من أذكار الصباح والمساء وهو «**سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته**». [أخرجه مسلم].

وإذا كان المقصر الزوج فهل تحسن الزوجة أداء واجبها الديني في جلب زوجها نحو ما يحبه الله ويرضاه.

فما أسعدها من لحظات عندما تجد الزوجة زوجها يحثها على العبادة ويعينها عليها ويجلس معها تحت ظلال هذه النفحات الربانية.

وما أسعدها من لحظات إن قامت الزوجة وبأسلوبها الجميل المحبوب لدى زوجها بأداء ما يجب عليها من حث زوجها على العبادة وطاعة الله.

وما أسعد هذه الأسرة المسلمة التي عينها في هذه الدنيا، والأخرى على الآخرة.

وعلى الزوج المؤمن أن يكون على يقين من أمره أن واجب تعليم زوجته تعاليم الإسلام وتطبيقها هو واجب ديني يجب أن يقوم به ويهتم به أكثر من أداء واجب الطعام والشراب وتأمين الدار والمتاع، وذلك استجابة لأمر الله عز وجل الذي يقول:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦].

وقد تحدث الصحابة والتابعون والعلماء في هذه الآية وتفسيرها فأجمعوا القول: بأن الواجب على الزوج أن يقوم بتعليم أهله وأول الأهل الزوجة ثم الأولاد تعليمهم أمور دينهم وحثهم عليها وإبعادهم عن النواهي والمحرمات والمعاصي، وأول هذه الأمور الصلاة، قال تعالى:

﴿ وَأۡمُرۡ أَهۡلَكَ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱصۡطَبِرۡ عَلَيۡهَاۖ لَا نَسۡـَٔلُكَ رِزۡقٗاۖ نَّحۡنُ نَرۡزُقُكَۗ وَٱلۡعَٰقِبَةُ لِلتَّقۡوَىٰ ﴾.
[طه: ١٣٢].

وقد (كان رسول الله ﷺ إذا أطلع على أحد من أهل بيته كذب كذبة لم يزل معرضاً عنه حتى يحدث توبة). [أخرجه أحمد].

لذلك ينبغي للزوج أن يعلم زوجته أمر دينها وما فرضه الله عليها، لأنها مكلفة بالشريعة كالرجل، معنية بالأمر والنهي، مؤاخذة على تفريطها وتقصيرها فيما أمرت به من شرائع الدين، مجزية على إحسانها وصلاحها، قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلۡمُسۡلِمِينَ وَٱلۡمُسۡلِمَٰتِ وَٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ وَٱلۡقَٰنِتِينَ وَٱلۡقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلۡخَٰشِعِينَ وَٱلۡخَٰشِعَٰتِ وَٱلۡمُتَصَدِّقِينَ وَٱلۡمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلۡحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمۡ وَٱلۡحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمٗا ﴾.
[الأحزاب: ٣٥].

فالمرأة لا تكون كما وصفها الله تعالى على جانب الصلاح إلا عن طريق التعليم والتهذيب والتوجيه الصالح، والزوج إذا لم يهتم بها من هذه الناحية يكون قد فرط ولم يقم بالحق الذي فرضه الله عليه، وسوف يسأل عن هذا

التفريط، قال ﷺ: «كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والرجل راع في أهله، ومسؤول عن رعيته». [متفق عليه].

وعليه أن يعلمها ما فرض عليها من صلاة وزكاة وحج وصيام وأن يلقنها ما يحفظه من آيات قرآنية، ويأخذ بيدها إلى دروس العلم والتربية، كما كان يفعل صحابة النبي ﷺ مع زوجاتهم، فقد كان أحدهم يسمع الآية من القرآن فيرجع إلى أهله، يعلمهم إياها ويطالبهم بتطبيقها، وفي هذا تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: «والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار، لقد أنزلت سورة النور فانقلب رجالهن يتلون عليهن ما أنزل الله إليهم فيها، ويتلوها الرجل على امرأته وابنته وأخته، وعلى كل ذي قرابته».

[أخرجه أبو داود من غير وجه عن صفية بنت شيبة عن عائشة، انظر تفسير ابن كثير].

٢ ـ التعاون على تربية الأولاد:

مسؤولية تربية الأبناء تقع على عاتق الزوجين فهما المشتركان في هذه التربية وهما اللبنة الأولى والأخيرة في تربية أبنائهم.

ولئن كان في الماضي يتم التعاون بين الأسرة والمدرسة والمجتمع، فيجب أخذ العلم الآن أن المدرسة تقوم بتعليم العلوم المختلفة، أما المجتمع فيقوم بتعليم حاجات الحياة، أما موضوع التربية وخاصة التربية الإسلامية فأصبح العبء الأكبر أو الوحيد يقع في هذا الوقت على الوالدين والوالدين فقط.

ويجب أن يكون في أعماق قلب كل من الزوجين أهمية العناية بالأولاد لأنهم نور عيونهما، وعطر حياتهما، ودقات قلوبهما، وهم الذكرى الممتدة لهما في الحياة وبعد الموت، وأنهم أنس البيت، وسكن الأسرة، ومقصد آمال الأب والأم.

ولقد بين الله سبحانه مكانة الأولاد عند الإنسان، فهم أهم زينة الدنيا وشهواتها فقال سبحانه: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: ٤٦].

وقال سبحانه: ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ﴾.

[آل عمران: ١٤].

ولما كان الأولاد بهذه الأهمية، كان على الوالدين أن يتحملا مسؤوليتهما كاملة في تربية أولادهما، حتى لا ينقلب الأولاد إلى غم وهم وحزن ووبال وآلام لا تحتمل لدى الوالدين.

ولأهمية تربية الأولاد أمر الله عز وجل الوالدين بالعناية بهذه التربية وحضهم على ذلك وحملهم مسؤوليتها بقوله سبحانه وتعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا ﴾ [التحريم: ٦].

ومما ورد في تفسير الألوسي لهذه الآية: روي أن عمر قال حين نزلت، يا رسول الله ففي أنفسنا، فكيف لنا بأهلينا؟! قال عليه الصلاة والسلام: «تنهونهن عما نهاكم الله عنه وتأمرونهن بما أمركم الله به، فيكون ذلك وقاية بينهن وبين النار».

ولقد أشار النبي ﷺ إلى هذه المسؤولية وأهميتها فقال ﷺ:

«كلكم راع، وكلكم مسؤول عن رعيته، والأمير راع، والرجل راع على أهل بيته، والمرأة راعية على بيت زوجها وولده، فكلكم راع ومسؤول عن رعيته». [متفق عليه].

ثم بين النبي ﷺ قوة تأثير الوالدين في بناء شخصية الأولاد فقال:

«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه، كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء».

[متفق عليه].

ثم تلا أبو هريرة رضي الله عنه قوله تعالى:

﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾.

[الروم: ٣٠].

ولقد مدح الله عز وجل إسماعيل عليه السلام لعنايته بتربية أبنائه فقال:

﴿ وَكَانَ يَأۡمُرُ أَهۡلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرۡضِيّٗا ﴾. [مريم: ٥٥].

هذه المسؤولية التي سيسأل الله عنها يوم القيامة، وضحها النبي ﷺ

بقوله: «إن الله سائل كل راع عما استرعاه، أحفظ أم ضيع، حتى يسأل الرجل عن أهل بيته». [أخرجه النسائي].

وقد ورد في الحديث: «ما نحل والد ولده من نحل أفضل من أدب حسن». [أخرجه الترمذي].

وورد أيضاً: «لأن يؤدب الرجل ولده خيرٌ من أن يتصدق بصاع».

[أخرجه الترمذي].

وقال ﷺ: «أكرموا أولادكم، وأحسنوا أدبهم».

[رواه المنذري في الترغيب والترهيب ٣/ ١١٥].

وحمل مسؤولية التربية ليست خاصة بالرجل دون المرأة، فالمرأة أيضاً راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رعيتها، فالأم في تحمل المسؤولية كالأب سواء بسواء، بل مسؤوليتها أهم وأخطر، باعتبار أنها ملازمة لولدها منذ الولادة إلى أن يشب ويترعرع ويبلغ السن التي تؤهله ليكون إنسان الواجب ورجل الحياة.

وتعاون الزوجين على تربية أبنائهما مع قدوتهما الصالحة في البر والتقوى والاستقامة، له آثار عظيمة عليهما، وعلى ذريتهما في الحاضر والمستقبل، أما في الحاضر: فإن سبب هذا التعاون بين الزوجين على تربية أولادهما تجعل الطفل يتشبع ويتأثر بما يراه، ويؤدي ذلك إلى حبه لطاعة الله، وتعظيمه لشعائر الإسلام، وسهولة انقياده لأمر الله اقتداءً بأبويه كما قال تعالى:

﴿ ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنۢ بَعْضٍ ﴾ [آل عمران: ٣٤].

وأما في المستقبل فإن تقوى الله والعمل الصالح أعظم ذخيرة يدخرها الأبوان لحماية أولادهما، وأوثق تأمين على مستقبل ذريتهما، وأقوى ضمان لسلامتهم، ورعاية الله لهم في حياتهما، وبعد رحيلهما، خاصة إذا تركاهم صغاراً يتامى، لا راعي لهم ولا عاصم من البشر، كان اللقاء بينهم من جديد في الجنة كما قال تعالى:

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ وَمَآ أَلَتۡنَٰهُم مِّنۡ عَمَلِهِم مِّن شَيۡءٖۚ كُلُّ ٱمۡرِيِٕۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٞ ﴾ [الطور: ٢١].

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: لما نزل قوله تعالى:

﴿ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴾ [النجم: ٣٩]. أنزل الله تعالى بعد هذا:

﴿ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾ [الطور: ٢١]. يعني بإيمان، فأدخل الله عز وجل الأبناء بصلاح الآباء الجنة.

هذه التربية والعناية من الوالدين تفيد الوالدين حتى بعد موتهما وانقطاع عملهما، فإن هناك أعمالاً صالحة ترفع من درجاتهما وذلك بفضل دعاء الأولاد لهما، وقد ورد في الحديث الشريف عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له». [أخرجه مسلم].

قال ابن قيم الجوزية: فمن أهمل تعليم ولده ما ينفعه وتركه سدى، فقد أساء إليه غاية الإساءة، وأكثر الأولاد إنما جاء فسادهم من قبل الآباء، وإهمالهم لهم وترك تعليمهم فرائض الدين وسننه، فأضاعوهم صغاراً فلم ينتفعوا بأنفسهم، ولم ينفعوا آباءهم كباراً، كما عاتب بعضهم ولده على العقوق، فقال: يا أبت عققتني صغيراً فعققتك كبيراً، وأضعتني وليداً فأضعتك شيخاً. [تحفة المودود بأحكام المولود ص(١٥٦)].

وقد جاء رجل إلى أمير المؤمنين سيدنا عمر بن الخطاب يشكو له من عقوق ابنه إياه؟ فقام الولد وقال: يا أمير المؤمنين؟ ما حق الولد على أبيه؟ قال عمر رضي الله عنه: أن يختار له أماً صالحة، وأن يحسن اسمه، وأن يعلمه شيئاً من القرآن. قال الولد: والله يا أمير المؤمنين إنه لم يفعل شيئاً من ذلك، فقد تزوج من أمة ـ يعني من الإماء وهم العبيد ـ وسماني جعلاً ـ أي خنفساء ـ، ولم يعلمني شيئاً من كتاب الله، قال عمر للرجل: اذهب أيها الرجل، فقد عققت ابنك قبل أن يعقك.

إن الزوج المؤمن في الزواج المبارك الذي كان كثيراً ما يدعو بقوله

تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٧٤].

راغباً أن تكون له زوجة صالحة وأولاد بررة يعيش بهم قرير العين هانيء البال، سعيداً في دنياه وآخرته.

كان عليه لتحقيق ذلك، بعد أن انتقى الزوجة الصالحة أن يتعاون معها على تربية أولادهما التربية الإيمانية الكاملة وذلك بالقدوة الحسنة منه ومن زوجته، والتعاون المستمر لهذه التربية بالتفاهم والتعاون والمثابرة والملاحقة والانتباه والموعظة والتكرار والترهيب والترغيب، واستعمال أشكال وأساليب التربية لتحقيق التربية الإسلامية المتكاملة.

في هذا الزمان يجب على الوالدين أن يخصصا وقتاً يومياً للجلوس إلى أبنائهم بدل الجلوس إلى المحطات الفضائية التي لا تجلب إلا الهم والحزن والشر والشقاء، والمعصية والغفلة يجلسان جلسة عائلية يتبادلان فيها القرآن الكريم قراءة وشرحاً، والسيرة النبوية استعراضاً وتطبيقاً مع حفظ أحاديث النبي ﷺ وتناول الآداب والأخلاق الإسلامية مع دروس الفقه والعبادات المناسبة لأعمار الأولاد، عندئذ تقر العين وتسعد الأسرة في الدنيا والآخرة.

فمن الواجب على الزوجين أن يعلما أبناءهما الصلاة ويأمروهما بها عملاً بما أمر النبي ﷺ: «علموا أولادكم الصلاة لسبع، واضربوهم عليها لعشر سنين، وفرقوا بينهم في المضاجع». [أخرجه أبو داود].

وعن علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أدبوا أولادكم على ثلاث خصال، حب نبيكم، وحب آل بيته، وتلاوة القرآن، فإن حملة القرآن في ظل العرش يوم القيامة».

ومن التعاليم الواجبة الآداب الإسلامية العامة ولدينا مثال لذلك يرشدنا إليه النبي لنتبعه في كل شؤون الحياة متأدبين بآداب الإسلام وأخلاقه.

عن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما قال: كنت غلاماً في حجر رسول الله ﷺ وكانت يدي تطيش في الصحفة، فقال رسول الله ﷺ:

«يا غلام، سم الله، وكل بيمينك، وكل مما يليك». [متفق عليه].

هلا تعلم الوالدان وصايا لقمان لابنه ليقوما بتعليمها لأولادهما:

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِى ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿١٦﴾ يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأْمُرْ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱنْهَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ ۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿١٧﴾ وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمْشِ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَحًا ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿١٨﴾ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾ [لقمان: ١٣ ـ ١٩].

هلا قام الوالدان بتعليم أولادهما وصية سيدنا محمد ﷺ لعبد الله بن عباس قال:

كنت خلف رسول الله ﷺ يوماً فقال يا غلام: **«احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده تجاهك وإذا سألت فاسأل الله وإذا استعنت فاستعن بالله واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف»**. [رواه أحمد والترمذي].

أخيراً فإن إهمال الوالدين تربية أولادهما سينتج عنه خطرٌ كبيرٌ يعود أثره على الوالدين في الدنيا والآخرة.

قال الشاعر:

إهمال تربية البنين جناية   عادت على الآباء بالويلات

٣ ـ التجمل والتزين وحسن المظهر وطيب الرائحة:

هذه الصفة واجبة على الزوج والزوجة، فهي من الواجبات المشتركة بينهما.

فالطبائع السوية والفطرة المستقيمة تحب الجمال في كل شيء، والله سبحانه وتعالى يحب الجمال، فقد ورد في الحديث الصحيح:

«إن الله جميل يحب الجمال، ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس». [أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري].

إن من عادات النساء الموروثة قديماً وحديثاً اهتمام المرأة بزينتها ونظافتها وجمالها وملبسها لاسيما وأن ذلك فطرة مركوزة في المرأة ولكن العجيب والغريب أن ترى المرأة تهتم بذلك أمام غيرها من النساء لاسيما في المناسبات وتهمل ذلك أمام زوجها، أو تقوم به ولكن ليس بالدرجة المطلوبة، وكم يسر الزوج عندما يعلم أن زوجته مدعوة على حفلة لأنه سيراها بعد الحفلة على أكمل وجه من الزينة التي لا تتزين له مثلها أبداً.

لذلك يجب على الزوجة الصالحة ألا يراها زوجها إلا وهي في أحسن حال وأكمل صورة متزينة متطيبة، لأن ذلك من أقوى أسباب المودة والألفة، والمحبة بينهما لأن العين والأنف طريق القلب.

إن الزوجة الصالحة التي لا تحب أن ينفر منها زوجها وأن يبقى دائماً على محبة لها عليها دائماً أن تتفنن في إظهار جمالها وزينتها وعطرها أمام زوجها، لأن الزوج الصالح الذي يعيش في هذا المجتمع ويرى في الطرقات ومحطات التلفزة من المفاتن الكثيرة، يحب أن يعود إلى بيته فيرى زوجته على أجمل صورة قد ارتدت ثياباً جميلة أنيقة نظيفة، تفوح منها رائحة الطيب العطرة، وقد سرَّحت شعرها ووضعت زينتها.

هذا الأمر يجعل ضمانة كبيرة للزوجة من عدم ميل زوجها إلى غيرها من النساء كذلك ينبغي على الزوجة الصالحة أن تراعي النعومة والأنوثة والأناقة في كلامها ولباسها وحركاتها وتتحاشى قدر الإمكان التشبه بالرجال في جلستها أو مشيتها أو رفع صوتها فإن ذلك ينفر زوجها منها.

ويجب على الزوجة المؤمنة الصالحة في الزواج المبارك ألا تحتج بأي حجة تسوغ عدم اعتنائها بزينتها بدعوة أن الأولاد قد كبروا أو الزوج قد كبر، ولا داعي لذلك الآن.

هذه الزوجة الصالحة يجب أن تعرف أن نجاح الزواج واستمرار سعادته بأن تحافظ على جمالها دائماً وأبداً لتسعد هي وتسعد زوجها، فالجمال هو

رأس مال الزوجة وسبيلها إلى قلب زوجها، وليس للزوجة ـ مثلاً ـ أن تهمل زينتها اعتماداً على أنها جميلة، لأن الجمال في حاجة إلى الرعاية، وهو كالزهرة إن لم يتعهدها ساقيها ذبلت ولفحتها الشمس، والجمال الذي لا يتجدد ولا يشذب يصبح كالشجرة التي تمتد أغصانها على غير نظام وكالماء الذي لا يحركه تيار الهواء فيصيبه العفن.

هذا وإن بعض النساء يهملن زينتهن بسبب فكرة خاطئة تسيطر على عقولهن، وهي تعوُّد زوجها عليها، فلا بأس بالظهور أمامه بأي مظهر، وهذا أسوأ ما يكرهه الرجل في زوجته، ويبغض منها هذا الإهمال، والطبائع السوية والفطرة المستقيمة تحب الجمال في كل شيء، والله سبحانه وتعالى يحب الجمال كما مر معنا سابقاً في الحديث: «إن الله جميل يحب الجمال ويحب أن يرى أثر نعمته على عبده ويبغض البؤس والتباؤس».

[أخرجه البيهقي في شعب الإيمان عن أبي سعيد الخدري].

على الزوجة المؤمنة في الزواج المبارك أن تبذل كل جهدها للفوز بقلب زوجها والمحافظة على دفء العلاقة بينهما بما تبديه من رقة ودلال وجمال لقصر رغبات زوجها عليها، فعليها أن تحسن اختيار الملابس المناسبة لسنها، وأن ترتدي الألوان التي يحبها الزوج لا التي تحبها صديقاتها من النساء، وترتدي له الملابس الجميلة التي تلفت نظره وتدخل السرور عليه، وأن تعتني بتصفيف شعرها وتجميله، وإزالة الشعر الزائد والاعتناء بنظافة جسدها، ورشاقته ولقد نهى رسول الله ﷺ الأزواج عند عودتهم من السفر أن يعودوا ليلاً؟ دون إعلام الزوجة، وذكر ﷺ السبب في ذلك حتى تتهيأ الزوجة كامل التهيؤ لاستقبال زوجها الغائب عنها على أحسن حال، فقال ﷺ:

«لا يطرقن أحدكم أهله ليلاً، حتى تمتشط الشعثة وتستحد المغيبة».

[أخرجه مسلم].

وتستحد المغيبة يعني: تحلق شعر العانة، والمغيبة: من غاب عنها زوجها.

وهذا يعني أنه ﷺ لا يريد من الأزواج أن يرى أحدهم زوجته في صورة رثة، شعثة الشعر، أو غير مهتمة بنظافتها الشخصية، لأن ذلك يجعل الزوج يزهد في زوجته، وينصرف عنها، ولقد أوصت المرأة الحكيمة أمانة بنت الحارث ابنتها أم إياس عند زواجها بقولها: «فلا تقع عيناه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح».

والمرأة الصالحة هي التي إذا نظر إليها زوجها سرته من حسن تزينها وتعطرها وهيئتها الجميلة، وفي الحديث الشريف:

«ألا أخبركم بخير ما يكنز المرء؟ المرأة الصالحة، إذا نظر إليها سرته، وإذا أمرها أطاعته، وإذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله».

[أخرجه أبو داود والنسائي].

وهذه الصفة في التزين وحسن المظهر وطيب الرائحة ليست خاصة بالزوجات فقط، وإنما على الزوج أيضاً الاتصاف بها وعلى أكمل وجه فيجب على الزوج المؤمن في الزواج المبارك أن يعتني بمظهره وخاصة أمام زوجته فإنه يعجبها منه ما يعجبه منها.

فالزوجة الصالحة في الزواج المبارك تحب أن ترى من زوجها ما يحب أن يراه منها، ويعجبها منه ما يعجبه منها، ويخطىء الكثير من الرجال حين يرى أن زوجته يعجبها زوجها على كل حال من أحواله، سواء أكان قذر الثوب، خبيث الرائحة، أبخر الفم، أم كان نظيفاً طيب الرائحة، فالمرأة كائن حي عاقل له ذوق قد يكون أرق من ذوق الرجل، فكيف يهدر الزوج إحساسها وذوقها على هذه الصورة التي بقيت من تراث الجاهلية، إنها تحس كما يحس الرجل، وأكثر مما يحسه في هذه الناحية، ولكن الحياء قد يمنعها من مواجهة الرجل بهذه العيوب التي تباعد بين قلبها وبينه وتحرمها من متعة الانسجام الجنسي معه.

ولذلك كان سيدنا ابن عباس رضي الله عنه يقول:

«إني لأتزين لزوجتي كما أحب أن تتزين لي» وهذا عملاً بقوله تعالى:

﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وهو أشبه الصحابة هدياً برسول الله ﷺ يفعل ذلك ويقول: أفلا تحبه من امرأتك؟.

ولقد كان النبي ﷺ أنظف الناس ثوباً وأطيبهم ريحاً، كما جاء في وصفه ﷺ في أحاديث كثيرة، فكان ﷺ يحب الطيب ويهتم به، يقول النبي ﷺ: «حبب إلي من دنياكم النساء، والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة».

[أخرجه الحاكم والنسائي والبيهقي].

حتى أن النبي ﷺ كان يذكر الفرق بين طيب الرجال وطيب النساء، فيقول ﷺ: «طيب الرجال ما ظهر ريحه، وخفي لونه، وطيب النساء ما ظهر لونه وخفي ريحه». [أخرجه الترمذي والنسائي].

كما أنه ﷺ كان يهتم بمظهر صحابته رضي الله عنهم ويحثهم على النظافة والتعطر والهيئة الحسنة، دخل رجل ثائر الرأس واللحية، فأشار إليه أن اخرج، فكأنه يعني أمره بإصلاح شعر رأسه ولحيته، ففعل ثم رجع فقال عليه الصلاة والسلام: «أليس هذا خيراً من أن يأتي أحدكم ثائر الرأس كأنه شيطان». [أخرجه الإمام مالك في الموطأ].

وكان النبي ﷺ يقول: «من كان له شعر فليكرمه».

[رواه أبو داود، وحسنه الحافظ ابن حجر في فتح الباري].

أي يتعهد بتمشيطه ودهنه ونظافته، وكان رسول الله ﷺ إذا رأى مسلماً لا ينظف ثوبه يقول: «أما يجد هذا ما يغسل به ثوبه». [أخرجه أبو داود].

وقد ورد في الخبر: «اغسلوا ثيابكم، وخذوا من شعوركم واستاكوا وتزينوا وتنظفوا فإن بني إسرائيل لم يكونوا يفعلون ذلك فزنت نساؤهم».

[ابن عساكر عن علي (ضعيف)].

وقال ﷺ: «إن الله تعالى طيب يحب الطيب، نظيف يحب النظافة، كريم يحب الكرم، جواد يحب الجود، فنظفوا أفنيتكم ولا تشبهوا باليهود».

[أخرجه الترمذي عن سعد].

والنفس تعشق الجمال وتحبه من المحبوب، وفي الحديث: «**إذا نظر إليها سرته**»، وعن رسول الله ﷺ قوله: «**إن الله جميل يحب الجمال**».

[أخرجه مسلم].

وفي ذلك يقول سيدنا علي كرم الله وجهه: «**خير نساءكم الطيبة الرائحة، الطيبة الطعام، التي إن أنفقت أنفقت قصداً، وإن أمسكت أمسكت قصداً**».

إن تزين كل من الزوجين للآخر من أهم الأمور في سعادتهما الزوجية إذ يجعل في علاقتهما حيوية ويغمرها بالبهجة والسرور، لأن كلاً منهما يرى صاحبه في صورة جديدة وشكل جديد، يطردان بذلك من حياتهما الملل والسآمة لتكون الحياة كلها حركة وعملاً ونشاطاً.

وقد حث نبي الإسلام ﷺ النساء على الزينة، فقد رأى امرأة أهملت زينة يديها فقال لها: «**ما أدري أيد رجل أم يد امرأة**»، قالت: بل امرأة، قال: «**لو كنت امرأة لغيرت أظفارك**» ـ يعني بالحناء ـ أي زينتها بالحناء أو بما يزين النساء أيديهن. [أخرجه أبو داود وغيره عن عائشة رضي الله عنها].

وهذا الحديث فيه إشارة واضحة إلى ضرورة عناية الزوجة بكل زينتها وما يجلب نظر الزوج إليها، كذلك ينبغي للزوج أن يعتني بنفسه وزينته، وقد روي أنه دخل على الخليفة الفاروق رجل أشعث أغبر ومعه امرأته وهي تقول: لا أنا ولا هذا يا أمير المؤمنين، فعرف عمر كراهية المرأة لزوجها، فأرسل الزوج ليستحم، ويأخذ من شعره، ويقلم أظافره، فلما حضر أمره أن يتقدم من زوجته، فاستغربت ونفرت منه، ثم عرفته فقبلت به ورجعت عن دعواها فقال عمر: (... هكذا فاصنعوا لهن، فو الله إنهن ليحببن أن تتزينوا لهن كما تحبون أن يتزينَّ لكم). [تحفة العروس للاستنبولي (٩٤٩٣)].

لذلك يجب على الزوج أن يهتم بأمره ومظهره ورائحته وجماله، ويهيىء نفسه عند دخوله منزله على أحسن وجه وأكمل صورة.

كذلك يجب الاهتمام بالاستحمام من كلا الطرفين حتى لا يشم أحدهما من الآخر رائحة يكرهها، وأهم ذلك في هذا الموضوع موضوع رائحة الفم

الكريهة التي تصدر أحياناً بسبب عفن اللثة أو الأسنان، أو من تناول بعض الأطعمة كالثوم والبصل، فإن ذلك يهدد العلاقة بين الزوجين، لذلك يجب العناية الدائمة برائحة الفم عن طريق استعمال الفرشاة والمعجون وما يذهب رائحة البخر من الفم، وأن لا يقابل كل منهما الآخر ولا يقترب منه إلا بعد التأكد من إزالة ما يسبب الرائحة الكريهة للفم حتى يكون اللقاء والاقتراب على أحسن وجه وأكمل صورة.

من هنا نجد أنه ينبغي للزوج أن يتزين لزوجته، وكذا الزوجة تتزين لزوجها، فالزوج بعد أن يعود إلى منزله من عمله عليه أن يحسن زينته بالنظافة والعطر وتسريح الشعر واستعمال السواك وارتداء أجمل ثيابه المنزلية، وكذلك الزوجة عليها أن تتفنن في جمالها من ارتداء أجمل ثيابها وما يسر زوجها ويفرحه بها مع أعطر العطور التي يحبها واستعمال المساحيق التي تناسب جسمها لإبراز جمالها مع ابتسامتها الجذابة، وكلماتها المسرة، تطبيقاً لما ذكره النبي ﷺ في صفات المرأة الصالحة «وإن نظر إليها سرته»، فسرور الزوج بزوجته بأن ينظر إليها فيرى منها جمال المنظر وجمال الابتسامة وجمال الكلام وجمال اللقاء.

أيتها الزوجة المؤمنة استمعي إلى هذا الموقف من أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها كيف تستطيع أن تزيل عن رسول الله ﷺ غضبه وهمه وحزنه، قالت: وَجَدَ رسول الله ﷺ على صفية ـ أي غضب على صفية ـ فقالت لي: هل لكِ أن ترضي رسول الله ﷺ عني وأجعل لك يومي.

تقول عائشة: فأخذت خماراً لي مصبوغاً بزعفران، فرششته بالماء حتى تظهر ريحه أكثر، ثم اختمرت فدخلت عليه في يومها ـ أي في يوم صفية ـ فجلست إلى جنبه فقال ﷺ: «إليك عني يا عائشة فليس هذا يومك» فقلت: ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ثم أخبرته خبري. [أخرجه ابن ماجه].

أرأيت أيتها الزوجة المؤمنة إلى فن التعامل مع الزوج، تجمل وتطيب واقتراب وابتسامة وكلام عذب فتتخلل قلب زوجها وتأسر نفسه، فسبحان من أودع هذا السحر في الزوجة الصالحة.

- واجب الزينة بين الزوجين يجب أن يستمر استمرار الحياة بينهما، لا يشغل عنه أي شاغل ليستمر الزواج المبارك السعيد مدة هذه الحياة دون تغير أو تلبد.

فالزوجة المؤمنة هي التي تسعى إلى إرضاء زوجها، وإدخال السرور على قلبه، إذا جاء بيته فتستقبله متزينة متنظفة معطرة، لا تبدي تعباً من عمل، ولا نفوراً من أسرة، تسعى جاهدة لإدخال السرور على قلبه فتحمل متاعه، وتساعده في نزع ثياب عمله وتقدم ما يلبس في بيته، وذلك مدعاة لسروره، وسعادته بامرأته التي كانت حريصة على إدخال السرور على زوجها، ولله در هذه الأم التي أوصت ابنتها عند زواجها، فقالت لها: «أي بنية: لا لا تغفلي عن نظافة بدنك، فإن نظافته تضيء وجهك، وتحبب فيك زوجك، وتبعد عنك الأمراض والعلل، وتقوي جسمك على العمل، فالمرأة التفلة تمجها الطباع وتنفر عنها العيون والأسماع، وإذا قابلت زوجك فقابليه فرحة مستبشرة، فإن المودة جسم روحه بشاشة الوجه».

[كتاب رحمة الإسلام للنساء ـ لمحمد الحامد ص(٧١)].

وإن من آفات الزوجات المدمرات لسعادتهن، أن تلقى زوجها مشغولة بطبخها الذي تأخرت فيه، وبالعناية بأولادها، وبثيابها التي تعمل بها في البيت، متعبة، ضيقة الصدر ومتأففة، غافلة عن استقبال زوجها بثياب جميلة، وعطر فواح وابتسامة مشرقة، مما يكون عاملاً أساسياً في نفرة الزوج وسخطه، فيدخل البيت مستعيذاً من شرها، وكارهاً لها، مفكراً في غيرها.

ينبغي على الزوجين الاهتمام بهذا الموضوع ولو بلغا فوق السبعين من العمر، لأنه حق لازم بينهما، ومدعاة للاستمرار في السعادة الزوجية مدى الحياة بينهما.

٤ ـ أن يغار كل منهما على الآخر:

الغيرة في أصلها صفة محمودة، وقد اتصف الله تعالى بتلك الصفة على ما يليق به، فهو سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«إن الله يغار، وإن المؤمن يغار، وإن غيرة الله أن يأتي المؤمن ما حرم الله عليه». [متفق عليه].

وقد ورد أن سعد بن عبادة رضي الله عنه قال: لو رأيت مع امرأتي رجلاً لضربته بالسيف، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال:

«أتعجبون من غيرة سعد؟ فو الله لأنا أغير منه، والله أغير مني».

[متفق عليه].

وضد الغيور، الديُّوث، وهو الذي يقر الخبث في أهله والذي لا غيرة له على أهل بيته، ويدخل الرجال عليهم ولقد ورد الوعيد الشديد في حقه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ:

«ثلاثة لا ينظر الله عز وجل إليهم يوم القيامة: العاق لوالديه، والمرأة المترجلة، والديوث». [أخرجه أحمد والنسائي وابن خزيمة وغيرهم].

من الواجب أن يغار كل من الزوجين على الآخر وغيرتهما هي الحمية من كل منهما على الآخر والغضب له إذا استهين بحقه وانتقصت كرامته وحرمته وناله مكروه من عدوه، فيغضب له وينصره ويحميه ويبذل كل ما يستطيع لإزالة ما يسؤوه أو يضره أو يزعجه أو يؤذيه.

وهذه الغيرة هي التي تحمل على بذل نفس المحب وماله وعرضه لمحبوبه حتى يزول ما يكرهه، وهو أيضاً يغار لمحبوبه أن تكون فيه صفة يكرهها محبوبه ويعينه عليها، أو يفعل ما يبغضه إليه، ثم يغار عليه بعد ذلك من الآخرين أن يسلبوه محبوبه، بالتقرب منه وإظهار محبتهم له، والعمل على التفريق بين المحبين لأغراض دنية ونوايا خبيثة.

فالمؤمن يغار على زوجته، لذلك فهو يحافظ عليها في بيته، ومع أهله، ويغار عليها خارج بيته ومع الناس، وغيرته هذه تظهر أولاً بتأكيده على جعل لباسها لباساً شرعياً، ليس فيه إغراء ولا زينة ولا عطر، فهي له وحده، يرى منها ما يشاء، تتزين له، وتتعطر له، وترتدي له من الثياب ما يريد، فهي له فقط، وليس للناس، فلا يرغب بأن تجالس أحداً من غير محارمها، ولا أن تخالطهم أو تتكلم معهم، حتى لا يدع مجالاً للنفوس المريضة، أن تشاركه في زوجته.

كذلك هي تغار على زوجها، بأن تحافظ عليه، وأن تهيىء له جميع ما يسره ويرضيه منها، من لباس وزينة وعطر، وكلام جميل واستقبال حسن حتى لا ينظر إلى سواها، ولا يلتفت لغيرها، كما يحب الله ورسوله.

قال سيدنا علي كرم الله وجهه: «ألا تستحيون؟ ألا تغارون؟ يترك أحدكم امرأته تخرج بين الرجال، تنظر إليهم، وينظرون إليها، قبح الله من لا يغار».

وقال سيدنا الحسن رضي الله عنه «لا تدعوا نساءكم يخالطن العلوج في الأسواق قبح الله من لا يغار» أي لا تتركوا نساءكم يذهبن إلى الأسواق للتسوق وحدهن يخالطن الرجال من الباعة أو في الطرقات ورافقوهن لتحفظوهن من خطر الاختلاط ومساوئه.

وفي موضوع الغيرة يجب أن يعلم الزوج أن زوجته تغار عليه كثيراً من أن يرف طرف من النساء إليه فهي تخشى عليه كثيراً أو تغار، لذلك يجب عليه أن لا يذكر أمامها المواضيع التي يتحدث فيها عن إعجاب الآخرين من النساء به أبداً، وألا يستعمل هذا الأسلوب من أجل مداعبتها أو إثارة غيظها أو غضبها، فهذا أسلوب خاطىء يصدر من الجهال ومن لا عقل راجح لهم، ومن أولئك الذين يعانون من مرض نفسي في حب الذات وتقريب الآخرين منهم، أو شعورهم بنقص ومحاولة إزالة هذا النقص بإظهار إعجاب الآخرين.

كذلك على الزوج أن يملك عقلاً كبيراً وحسن تدبير وتصرف عند ظهور الغيرة من زوجته وأن يعلم أن غيرتها إنما هو من عميق حبها له وخوفها من الآخرين عليه، وكذلك عليه أن يعلم أنها عندما تغار لربما تصرفت بغير عقل كما ورد عن النبي ﷺ: «**إن الغيرى لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه**».

[أخرجه أبو يعلى].

فالغيرى ترى بهواجس صدرها لا بعيون وجهها، وتسمع الكلام بلسان شيطانها.

ويجب على الزوجة الصالحة أن تخفف من غيرتها وخاصة إن كانت غيرتها غير معتدلة حتى لا تعكر صفو النقاء والصفاء في حياتها الزوجية.

كذلك على الزوجة الصالحة أن تحذر من أن تشعل غيرة زوجها عليها بأن تمتدح رجلاً أمامه أو تصغي إلى أجنبي أمامه، أو تبدي إعجاباً برجل في ملبسه أو حديثه أو قوته أو حسن رأيه وعقله أمام مسامع زوجها.

كذلك على الزوجة الصالحة أن تجعل من غيرتها على زوجها بأن تسعى لتقريبه إليها فلا تجعله ينظر إلى أجمل منها، وذلك بالتجمل له، والتعرض له بحسن الحيل والتلطف له بأفضل الأساليب حتى لا يحب النظر إلا إليها وأن تحاول إسعاده بنشاطها وبهجتها حتى لا يحب فراقها، وأن تسمعه ما يشتهي من الحديث معها حتى لا يمل مجالستها ولا يرغب بسواها.

كذلك على الزوج أن يعتدل في غيرته واجتناب إثم الظن، وترك تجسس بواطن الأمور من غير ما داعية، وبالابتعاد عن العنت والجري وراء الأنباء المدسوسة من ذوي الأغراض السيئة في غير تثبت، فقد وهبه الله زوجة صالحة مؤمنة تقية حافظة للغيب عفيفة متدينة، فعليه ألا يعكر صفو حياته الزوجية بالغيرة المحمومة التي لا داعي لها والتي تسبب الاضطراب في هذه الحياة بل قد تؤدي إلى الفراق والعياذ بالله فيندم ولات ساعة مندم.

هذه الغيرة التي تحدثت عنها هي مما يحبها الله ولكن يجب ألا يغالي بها المرء فيقع في الغيرة التي لا يحبها الله فقد قال رسول الله ﷺ:

«إن من الغيرة غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل على أهله من غير ريبة» [أخرجه أبو داود والنسائي].

أي من غير دلائل ظاهرة تدل على الريبة والشك وهي غيرة وسوسة ليست عن عقل ولا دين وإنما هي شك لا صلة لها بهما، وكم قطعت هذه الغيرة التي لا يحبها الله أوصال ألفة ومحبة بين الزوجين وأدت إلى ما لا يحمد عقباه.

قال الإمام عليٌّ كرم الله وجهه «لا تكثر الغيرة على أهلك فترمى بالسوء بين أهلك»، وعن جابر رضي الله عنه قال: «نهى رسول الله ﷺ أن يطرق الرجل أهله ليلاً فيخونهم أو يلتمس عثراتهم». [أخرجه مسلم].

وهذا درس عظيم من النبي ﷺ يجب أن يتعلمه كل زوج مؤمن بالله ورسوله وهو ألا تجعله الغيرة على زوجته في أن يقع في الشك الدائم بها من

وراء ما يسمعه من قصص كثيرة في مجتمعه ومايراه في المحطات الفضائية، فتراه يحاول جاهداً في تتبعها في ساعات النهار والليل وملاحقتها عند خروجها من منزلها، أو التجسس على مكالماتها، أو الدخول عليها من غير موعد سابق أو وقت معلوم ليرى ما تفعله، أو ليتحقق من وساوس وأفكار في رأسه حول زوجته، هذا الأسلوب لن يرضاه النبي ﷺ، بل بيَّن أنه لو كان مسافراً عليه ألا يدخل على أهله ليلاً أو في وقت لا تعلمه ممتحناً إياها بل بعد إعلام لها بوقت قدومه للتهيؤ له ولتحسن استقباله.

إنك أيها الزوج قد تزوجت من زوجة صالحة تحفظك في غيابك فلا تقع في مرض الغيرة السيئة التي لا يحبها الله ورسوله وكن واثقاً بزوجتك وأبعد أفكار الشيطان عنك حتى تعيش معها في أمن وأمان وثقة وحب وإيمان.

ومعنى الغيرة أن يحفظ الرجل امرأته من كل ما يلحق بها من أذى في نظرة أو كلمة أو مس أو غير ذلك، وقد نظم الإسلام أمر الغيرة بمنهج قويم يجمل فيما يلي:

أ ـ أن يأمر الزوج زوجته بالحجاب وارتداء الجلباب حينما تريد الخروج من بيتها امتثالاً لقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ يُدۡنِينَ عَلَيۡهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن يُعۡرَفۡنَ فَلَا يُؤۡذَيۡنَۗ﴾ [الأحزاب: ٥٩].

ب ـ أن تغض بصرها عن الرجال الأجانب، امتثالاً لقوله تبارك وتعالى:

﴿ وَقُل لِّلۡمُؤۡمِنَٰتِ يَغۡضُضۡنَ مِنۡ أَبۡصَٰرِهِنَّ وَيَحۡفَظۡنَ فُرُوجَهُنَّ﴾ [النور: ٣١].

وقدر الإمكان الابتعاد عن الرجال الأجانب وعدم الاختلاط بهم كان ذلك أفضل وأسلم.

جـ ـ ألا تبدي زينتها إلا للزوج أو المحارم، عملاً بقول الله عز وجل:

﴿ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنۡهَاۖ وَلۡيَضۡرِبۡنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّۖ وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

وهذه الآية في غاية الدقة والمعرفة لمن يسمح للزوجة أن تظهر زينتها الظاهرة أمامه، مع الانتباه إلى صفاء نية هؤلاء المحارم وإيمانهم العميق فإن

ظهر منهن غير ذلك فيجب عليها عدم إظهار زينتها أمام أمثال هؤلاء لضعف دينهم وقلة مروءتهم، وسوء أخلاقهم، ولقد كثر أمثال هؤلاء في هذا الزمن.

وقد سئلت السيدة فاطمة رضي الله عنها: ما خير المرأة؟ فقالت: أن لا ترى الرجال، ولا يراها الرجال: فضمها النبي ﷺ إلى صدره وقال:

«ذرية بعضها من بعض». [أخرجه البزار والدارقطني].

د ـ ألا تخالط الرجال الأجانب ولـو أذن بـذلك الزوج، والمقصود بالرجل الأجنبي: كل رجل يجوز للمرأة الزواج منه ويدخل في مضمونه ابن العم، وأخو الزوج، وعم الزوج وغيرهم، لعموم قول النبي ﷺ: «إياكم والدخول على النساء» قالوا يا رسول الله أرأيت الحمو؟ ـ قريب الزوج أو الزوجة ـ قال: «الحمو الموت».

[أخرجه البخاري].

فربما أرادها بسوء بنظرة أو كلمة أو فعل أو ربما وسوس لها الشيطان بما لا يحمد عقباه من جراء هذا الاختلاط الآثم.

هـ ـ ألا يعرضها للفتنة كأن يطيل غيابه عنها، أو يأخذها إلى دور الفساد، أو يشتري لها تسجيلات الغناء والفحش، أو يجلس معها على التلفاز أو غيره على أفلام محرمة ومشاهد آثمة، أو يأذن لها أن تجتمع مع الرجال الأجانب في سهرات عائلية وغير عائلية.

وعلى الزوج الصالح في الزواج المبارك أن يتحمل من زوجته غيرتها عليه وحبها الشديد له، ويتروى في تصرفاته، ويتعقل في سلوكه معها، فربما ظهر منها من جراء غيرتها تصرفات غير لائقة فعليه حسن التصرف معها وهذا درس نسمعه من أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: كان متاعي في خف، وكان على جمل ناج ـ سريع ـ وكان متاع صفية فيه ثقل، وكان على جمل ثقال ـ بطيء ـ يبطيء بالركب، فقال رسول الله ﷺ:

«حولوا متاع عائشة على جمل صفية، وحولوا متاع صفية على جمل عائشة، حتى يمضي الركب» فقالت عائشة، فلما رأيت ذلك، قلت: يا لعباد

الله غلبتنا هذه اليهودية على رسول الله ﷺ، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «يا أم عبد الله إن متاعك كان فيه خف، وكان متاع صفية فيه ثقل، فأبطأ بالركب، فحولنا متاعها على بعيرك، وحولنا متاعك على بعيرها» فقالت: ألست تزعم أنك رسول الله ﷺ؟ فهلا عدلت، وسمعني أبو بكر وكان في غرب ـ أي حد ثان ـ فغضب فأقبل علي ولطم وجهي، فقال رسول الله ﷺ: «مهلاً يا أبا بكر» فقال: يا رسول الله أما سمعت ما قالت؟ فقال ﷺ: «إن الغيراء لا تبصر أسفل الوادي من أعلاه».

[فتح الباري ٩/ ٢٣٦ قال: إسناده لا بأس به].

وفي رواية الدارمي عن أنس قال: أهدى بعض أزواج النبي ﷺ إليه قصعة فيها ثريد وهو في بيت بعض أزواجه فضربت القصعة فانكسرت، فجعل النبي ﷺ يأخذ الثريد فيرده في القصعة وهو يقول:

«كلوا غارت أمكم..». [أخرجه البخاري].

وكذلك فإن على الزوجة الصالحة في الزواج المبارك أن تغار على زوجها بأن تخاف عليه فتهيىء له كل وسائل الراحة والطمأنينة والسرور حتى لا يفكر في غيرها، ولكن غيرتها أيضاً يجب أن تكون معتدلة حتى لا تحول بيتها جحيماً لا يطاق من شدة غيرتها على زوجها التي ليس لها مبرر، فتشك في كلامه، وتتجسس عليه وتفسر كل شيء على حسب هواجسها، وتسأله في الغدوة والروحة عن المكان والزمان، ولتعلم هذه الزوجة أن شكها في سلوك الزوج بغير دليل يولد عدم الثقة ويزرع بذور الشك عنده هو الآخر وقد يكون ذلك سبباً في هدم هذا البيت المطمئن الآمن.

قال عبد الله بن شداد: الغيرة غيرتان، غيرة يصلح بها الرجل أهله، وغيرة تدخله النار. [روضة المحبين ص(٢٧٧)].

ويجب أيضاً على الزوجة الصالحة أن تبتعد عن مدح أي رجل أمام زوجها أو أن تصف أجنبياً في حضوره، أو تبدي إعجابها برجل في ملبسه أو حديثه، أو قوته، أو حسن رأيه وعقله أمام مسامع زوجها.

❑ ❑ ❑

الفصل الخامس
العلاقة السليمة بين الزوجين

ـ بعد الانتقاء والاختيار الصحيح بين الزوجين، وإتمام الزواج، لابد من سعي الزوجين إلى تحقيق السعادة المباركة بينهما التي توصل إلى قرة العين، وهناءة البال اللتي كان كل منهما يرجوها ويدعو الله بها:

﴿ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴾ [الفرقان: ٧٤].

وإلى تحقيق مقصد الزواج الذي ذكره الله عز وجل في قرآنه وجعله من آياته:

﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

هذا المقصد وهو السكنى والهدوء النفسي، والاستقرار الروحي الذي ينتج عنه محبة فيما بينهما ورحمة كل منهما للآخر.

وبذلك يعيشان عيشة هنيئة، ملؤها الحب والألفة والهدوء والراحة، والسعادة والطمأنينة.

وبذلك يكون الزواج ناجحاً موفقاً مباركاً.

ـ وبقدر ما يعرف كل من الزوجين حقوق الآخر فيؤديها له، وما عليه من واجبات يقوم بها تجاه الآخر، بقدر ما يكون هناك الوئام والتوافق والانسجام والسعادة المنشودة من الزواج.

ـ وتمام فرحة الزوجين مع أهلهما ليست في الزواج، بل في استمرار

الزواج، فكم من زواج لم يدم إلا لأيام أو أشهر، وما ذلك إلا لعدم العلاقة السليمة بين الزوجين.

ـ إن الزواج هو مرحلة جديدة للزوجين، وهو تجربة جديدة لهما، وحتى يتم نجاح هذه المرحلة والتجربة لابد من وعي قبل الزواج لكل منهما، ووعي بعد الزواج في كيفية بناء العلاقة السليمة بينهما.

وينضج هذا الوعي بالوصايا القيمة الضرورية التي يقدمها الأهل إلى كل منهما قبل الزواج وبعده، وقدرة كل منهما على فهم الآخر والعمل على إسعاده وتحقيق رغباته.

إذن هناك وعيان لتحقيق العلاقة السليمة بين الزوجين، وعي قبل الزواج، ووعي أثناء الزواج.

أولاً ـ واجبات الأهل قبل الزواج:

أ ـ واجبات أهل الزوج:

بما أن أهم فرحة عند الوالدين أن يريا ابنهما أصبح في سن الزواج ولن تكمل فرحتهما إلا بزواجه ورؤية أولاده ـ أحفادهم ـ وهم يملؤون بيتهم بالفرحة والابتسامة واللعب والمرح.

وبما أن الزواج لا يتم إلا بموافقتهما، فإنه ينبغي عليهما أن يكونا عوناً لابنهما الذي يسعيان لزواجه، لذلك يقع على عاتقهما واجبات كثيرة نحو ذلك، وأهم هذه الواجبات ما يلي:

أولاً ـ عليهما أن يحرصا على اختيار الزوجة الصالحة له، والمؤمنة التقية، لا أن يكون لكل منهما رغباته، وكل منهما يريد أن يزوجه ضمن رغباته الشخصية ويسعى لتزويج هذا الابن حسب رغبته، فهذا أول خلاف يُوقع الزواج بالإخفاق، فينبغي على الوالدين أن يؤكدا لنفسيهما أن الابن هو الذي سيتزوج زوجة تستمر معه مدى حياته، لذلك وجب أن يختارا له ما يصلحه ويعينه على دينه ودنياه وآخرته، بعد معرفة رغباته الشخصية، والسعي إلى تحقيقها بقدر الإمكان وبما يمليه الشرع والدين والقرآن الكريم، ووصايا النبي العظيم ﷺ.

ثانياً ـ عندما يتم الاختيار ضمن الشروط التي ذكرناها سابقاً يجب على الوالدين ألا يظهرا أي عقبة تمنع هذا الزواج، وخاصة من ناحية الشروط الجانبية التي لا أهمية فيها من حيث مكان السكن وقيمة المهر وشروط الحفلات وغيرها من الأمور التافهة التي يختلف عليها كثير من قليلي العقل والدين، مما يكون سبباً في رفض هذا الزواج من وراء هذه الأمور التي يجب ألا يقع عليها خلاف.

المهم الدين والأخلاق، والتكافؤ والرضا والرضوان، والحب والوئام، أما المواضيع الثانوية الأخرى فيجب التفاهم عليها وعدم جعلها سبباً لرفض هذا الزواج.

ثالثاً ـ يجب على الوالدين أن يساعدا ولدهما فيما يتعلق بمقدمات الزواج كالحفلات واللقاءات وغيرها من هذه الأمور، وبما يرضي الله ورسوله، وعلى كتاب الله وسنة نبيه، وهذا ما يفتقده كثير من الآباء والأمهات من الالتزام بالشرع وحدوده، والإيمان ومقتضياته، فكثير من الوالدين يجهلان قواعد الدين، ويأمران بتحقيق رغباتهما البعيدة عن الدين والأخلاق، متمسكين بالعادات السيئة، والعرف الجاهلي البعيد عن الدين، فكثير من هذه الأمور مع بساطتها تكون سبباً في ظهور الخلافات التافهة التي تؤدي إلى انهيار هذا الزواج وبشكل محزن مؤلم.

رابعاً ـ كذلك يجب على الوالدين أن يساعدا ولدهما في إنجاح هذا الزواج وذلك بتهيئة نفسيهما على تقبل هذه الفتاة التي تركت أهلها الذين عاشت معهم وتربت في كنفهم، وتركت بيتها الذي ترعرت فيه، وغرفتها التي لها أجمل الذكريات فيها، تركت كل ذلك وأقبلت على زوجها وأهله، فمن واجب والِدَيْ الزوج تقبلها على أنها ابنة جديدة لهما، انضمت إليهما.

فوالد الزوج هو عم لها يحنو عليها أكثر من أبيها، ووالدة الزوج هي أم ثانية لها، تحنو عليها أكثر من أمها.

تسمع هذه الزوجة كلامهما الموجه لزوجها: يا بني إن زوجتك هي بنت لنا، إن أسأت إليها، فقد أسأت إلينا، وإن أحسنت لها أحسنت لنا.

يا بنيتي: إن أساء إليك ابننا فأخبرينا لإيقافه عند حده، ومنعه من تسلطه والإساءة إليك فحبنا لك كحبنا له، فإن أساء إليك فقد ظلمك ولا نرضى بظلمك.

خامساً ـ من واجب الوالدين تعليم ابنهما وقبل الزواج كيف يجب أن يعامل زوجته بالحب والتقدير والاحترام لها ولأهلها، وتذكيره بحقوقها والسعي الحثيث على تحقيقها، وإظهار واجباته نحوها، والقيام بكل هذه الواجبات، وعلى أتم وجه.

يجب أن يكونا خير معين ومرشد وموضح ومفسر ومبين ومعلم لكل ما يتعلق بأمور الزواج وواجباته، من كلام جميل، ومعاملة حسنة، وأداء للحقوق، ووقوف عند الحق، وعدم الغضب أو الشتم أو السب أو اللعن، أو نطق كلمة الطلاق، والتعامل بالحلم والحكمة والصبر والأناة، والتفاهم والابتسامة والمودة والرحمة.

سادساً ـ ينبغي للوالدين إقناع ولدهما بأن أي أمر يجري بينه وبين زوجته يجب ألا يعلم به أحد، وأن يحل مشاكله مع زوجته دون أن يتدخل أحد بينهما.

وإرشاده إلى أنه لا يوجد زوج إلا ويتعرض للخلافات مع زوجته وأن هذا الأمر طبيعي في الزواج، واختلاف الآراء أمر لا بد منه.

وأنه لابد للزوج من أن يتحمل ذلك ويقوم بمواجهة المشاكل بهدوء ودون عصبية أو غضب أو انفعال أو سب أو شتم أو ذكر كلمة الطلاق، وحبذا أن يربي نفسه على الخروج من مكان الاختلاف إلى مكان آخر، أو أن يدع منزله ويخرج ولو لمدة بسيطة، وأن يلتزم الصمت عند شدة الخلافات، وتوتر الأعصاب، وعندما يعود تعود الحياة إلى مجاريها، ويندم الطرفان، ويتعانقان، وتزول الخلافات بينهما، وتنتهي المشكلة على خير، ويعود الوئام والمحبة والصفاء.

وأي تصرف آخر يجب أن يعلم الزوج أنه ربما يؤدي إلى خراب بيته وتفكك أسرته، وهناك الندم يوم لا ينفعه ذلك الندم.

وعلى والِدَيْ الزوج أن يرشدا ولدهما إلى أن أي مشكلة مع زوجته لا يستطيع إيجاد الحلول لها من قبله عليه الرجوع إليهما ليساعداه في حلها.

وما أعظم الوالدان ذوا العقل الكبير، المتفهم للحياة، البعيد عن الأنا والكبر والذي يبتعد عن خراب البيوت، عندها يكونان عوناً على إزالة الخلافات وإيجاد الوئام بين الزوجين.

سابعاً - يجب ألا ينسى الوالدان وخاصة الأم أن أهم شيء يسعيان إليه هو راحة بال ابنهما ونجاح زواجه، وأن عليهما أن يساعداه في ذلك، بأن تخرج الأم من نفسها الأنا وحب الذات، وألا يسيطر عليها الغيرة التي تنشأ عند الأمهات الجاهليات، أثناء زواج الأبناء عادة لسبب شعورها الناقص أن الزوجة سوف تأخذ منها ابنها الذي ربته، وشعورها أنها ستفقد ابنها وبره لها وعاطفته نحوها.

الأم الواعية العاقلة الصالحة هي التي تشجع ابنها على إعطاء زوجته حقها، وإظهار سرورها من وراء معاملته الحسنة لها، ودائماً تدعو له بالتوفيق والسعادة وترشده إلى طريق الوفاق مع زوجته وتبين له طريق السعادة معها وتجعل ذلك شغلها وشاغلها لأن أهم شيء عندها سرور ولدها بزوجته، ونجاح هذا الزواج واستمراره.

ثامناً - يجب على الوالدين توجيه ابنهما إلى ضرورة احترامه لأهل زوجته، وعدم إهانته لها أو تعييرها بأهلها وإن كانوا أقل شأناً ومكانة من أهله وعائلته في المستوى العلمي أو الاقتصادي أو غير ذلك لأنه لما تم اختيارها تم بإرادتهم واختيارهم وتزوجها وهو راض وبدون إجبار.

كذلك يجب تشجيع ابنهما على بره بأهل زوجته واحترامهم وتقديرهم والسماح لها بزيارتهم، وخاصة في الأيام الأولى من الزواج، لما تعانيه الزوجة من حالة نفسية مؤلمة لفراقها بيت أهلها ولما يعانيه والداها من فراقهما لفلذة كبديهما التي عاشت حياتهاالأولى معهم، والآن تفارقهم وقد تركت كل أثر طيب معهما لذلك يجب على الزوج الانتباه لهذا الموضوع

الذي لا يعانيه الزوج لأنه ما زال في كنف والديه، وإن تزوج في بيت جديد، فالمعاناة الشديدة إنما هي عند الزوجة.

لذلك يجب على الزوج مساعدة زوجته للخروج من هذه المحنة خروجاً سليماً من وراء عطفه وحنانه وحبه وحسن معاملته لها، لتجد منه السلوان والسعادة التي تعوضها عن فقدانها لحياتها مع والديها.

وعلى والِدَيْ الزوج أن ينبها ولدهما أنه يجب ألا يتصور أنه قد ملك زوجته كما تمتلك قطعة الأثاث في المنزل، فالزوجة وإن كان أحق الناس بها زوجها ـ فإنها مأمورة بلا جدال ببر والديها والإحسان إليهما وعدم مقاطعتهما، وينبغي لوالدي الزوج دفع ولدهما نحو مساعدة زوجته على بر والديها وأهلها وبالتالي فإن ذلك يساعد على محبة أهل الزوجة لهذا الزوج وعده فرداً من أفراد هذه الأسرة وبالتالي يحدث الوئام والوفاق والسعادة والهناء في هذه الحياة الزوجية المباركة القائمة على رضى الله ورسوله.

ب ـ واجبات أهل الزوجة:

ليضمن الوالدان نجاح زواج بناتهما لا يكفي تربيتهما لهن تربية إسلامية كاملة، ولا يكفي أن تكون البنت حافظة لكتاب الله تعالى، مطبقة لشرع الله، سائرة على سنة رسول الله ﷺ، هذه التربية هي التربية الإسلامية المثالية تجعل البنت في أعلى مستوى إيماني وهي المطلوبة وهي المرغوبة فيها، وهي التي وجه النبي ﷺ إلى الظفر بها، ولكن الحديث حول نجاح الزواج واستمراره لابد للوالدين من تربية إضافية للبنت، تربيتها بالتدرج منذ بدء مراهقتها وبالشكل الصحيح والأسلوب الأمثل والأجمل على طريقة ترتيب البيت ونظافة أرضه وأثاثه، وعلى تنظيف أدوات الطبخ والطعام، وطرق الطبخ، وأسلوب غسل الملابس وتنشيفها وكيها وطيها، وغير ذلك من أمور البيت التي تحتاجه الفتاة عند زواجها هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب توعيتها إلى أن الزواج يعني وجوب التأقلم مع الزوج وأهله وما لديهم من عادات وتقاليد ربما تختلف كثيراً عن العادات والتقاليد التي تربت عليها في بيت والديها ومع إخوتها. هذا التأقلم الذي يساعد كثيراً على استمرار الزواج ونجاحه ـ أي بمعنى آخر ـ إنها ستعيش في بيت آخر غير بيت والديها، فيه

أساليب وعادات وتقاليد وأمور كثيرة ربما لم تكن معتادة عليها، يجب التأقلم معها والتعايش، والتحمل والرضى، والاعتياد عليها، مع معرفتها أن المثالية في الحياة ليس ما عاشت عليه وتربت، واعتادت عليه في بيت والدها، وأن غير ذلك من الأنماط والعادات المختلفة عن ذلك هي غير واقعية ولا جيدة، لذلك يجب على الفتاة أن تعلم أن النجاح يكون بالتأقلم مع الواقع الجديد لذلك يجب على الآباء والأمهات توعية بناتهن في سن الزواج إلى هذا الموضوع، والتأكيد عليه وتسهيل الوصول إليه والتأقلم معه، ومن هذا القبيل كان الآباء والأمهات ومنذ القديم يقدمون النصح لبناتهن عند زواجهن.

قال أنس رضي الله عنه: كان أصحاب رسول الله ﷺ إذا زفوا امرأة على زوجها يأمرونها بخدمة الزوج ورعاية حقة، وتربية أولاده.

ومثال على ذلك فقد أوصى عبد الله بن جعفر بن أبي طالب ابنته عند زواجها فقال: إياك والغيرة، فإنها مفتاح الطلاق، وإياك وكثرة العتب، فإنه يورث البغضاء، وعليك بالكحل، فإنه أزين الزينة، وأطيب الطيب الماء.

ولما حمل الأحوص ابنته زوجة إلى أمير المؤمنين عثمان بن عفان رضي الله عنه نصحها بقوله: «أي بنيتي إنك تقدمين على نساء قريش هن أقدر على الطيب منك فاحفظي عني خصلتين: تكحلي وتطيبي بالماء، حتى يكون ريحك ريح شن ـ القربة ـ أصابه المطر وكان له ريح طيب محبوب».

[الأغاني لأبي فرج الأصفهاني].

ـ خطب عمرو بن حجر ملك كندة، أم إياس بنت عوف بن مسلم الشيباني، ولما حان زفافها إليه، خلت بها أمها أمامة بنت الحارث، فأوصتها وصية تبين فيها أسس الحياة الزوجية السعيدة، وما يجب عليها لزوجها، مما يصلح أن يكون دستوراً لجميع النساء، فقالت:

«أي بنيتي: إن الوصية لو تركت لفضل أدب لتركت ذلك لك، ولكنها تذكرة للغافل ومعونة للعاقل، ولو أن امرأة استغنت عن الزواج بغنى أبويها وشدة صحبتهما إليها، كنت أغنى الناس عنه ولكن النساء للرجال خلقن، ولهن خلق الرجال، إنك فارقت الجو الذي منه خرجت، وخلفت العش

الذي فيه درجت إلى وكر لم تعرفيه، وقرين لم تألفيه، فأصبح بملكه عليك رقيباً ومليكاً، فكوني له أمة يكن لك عبداً وشيكاً.

يا بنيتي: احفظي عني عشر خصال تكن لك ذخراً أو ذكراً.

أما الأولى والثانية: فالخضوع له بالقناعة، وحسن السمع له والطاعة.

وأما الثالثة والرابعة: فالتفقد لمواضع عينه وأنفه، فلا تقع عينه منك على قبيح، ولا يشم منك إلا أطيب ريح، وإن أحسن الحسن الكحل وأطيب الطيب الماء.

وأما الخامسة والسادسة: فالتفقد لوقت منامه، وطعامه؛ فإن حرارة الجوع ملهبة، وتنغيص النوم مغضبة.

وأما السابعة والثامنة: فالاحتراس بماله، والإرعاء على نفسه وحشمه وعياله، وملاك الأمر في المال حسن التقدير، وفي العيال حسن التدبير.

وأما التاسعة والعاشرة: فلا تعصين له أمراً، ولا تفشين له سراً، فإنك إن خالفت أمره، أوغرت صدره، وإن أفشيت سره، لم تأمني عنده، ثم إياك والفرح بين يديه إن كان مغتماً، والكآبة بين يديه إن كان فرحاً. فقبلت وصية أمها فأنجبت وولدت له الحرث بن عمر جد امرىء القيس الملك الشاعر.
[المستظرف في كل فن مستظرف، شهاب الدين محمد بن أحمد ٢/٢١٩].

ولقد قدمت أم عاقلة مؤمنة صادقة لابنتها نصيحة مزجتها بابتسامة ودموع: فقالت لها: (يا بنيتي: أنت مقبلة على حياة جديدة لا مكان فيها لأمك أو لأبيك أو لأحد من إخوتك، ستصبحين صاحبة لرجل لا يريد أن يشاركه فيك أحد، حتى ولو كان من لحمك ودمك، كوني له يا بنيتي زوجة، وكوني له أماً، اجعليه يشعر أنه كل شيء في حياتك، وكل شيء في دنياك، تذكري دائماً أن الرجل أقل كلمة حلوة تسعده، ولا تجعليه يشعر أنه بزواجه منك قد حرمك من أهلك وأسرتك، إن هذا الشعور نفسه ينتابه، فهو أيضاً قد ترك أهله وترك أسرته من أجلك، لكن الفرق بينك وبينه هو الفرق بين الرجل والمرأة، فالمرأة تحن دائماً إلى أسرتها، وإلى بيتها الذي ولدت فيه ونشأت وكبرت وتعلمت، ولكن لابد لها أن تعوّد نفسها على هذه الحياة

الجديدة، لابد لها أن تكيف حياتها مع الرجل الذي أصبح لها زوجاً وراعياً، وأباً لأطفالها، هذه هي دنياك الجديدة يا بنيتي هذا هو حاضرك ومستقبلك، هذه هي أسرتك التي شاركت أنت وزوجك في صنعها، أما أبواك فهما ماض، إنني لا أطلب منك أن تنسي أباك وأمك وإخوتك، لأنهم لن ينسوك أبداً، وكيف تنسى الأم فلذة كبدها؟ ولكن أطلب منك أن تحبي زوجك وتعيشي له وتسعدي لحياتك معه). [تحفة العروس، الإسطنبولي: ص(٩٣)].

ومن وصايا الأمهات العاقلات:

يا بنيتي: إنه مما يعلي شأنك في قلب زوجك، ويرفع قدرك عنده إكرام أهله وخاصة إكرام أمه، معاملتها معاملة حسنة ومناداتها بما تحب أن تناديها به، وأن تكوني عوناً له على البر بوالديه، وإياك إياك أن تعيبي شيئاً في أمه أمامه، ولا من خلفه، فإن ذلك يعز عليه، ويضيق به ذرعاً، واصبري على معاملة أمه لك إن كانت غير مرغوبة لديك، وتذكري أنه (كما تدين تدان) فارحمي فيهما الضعف والكبر، واعلمي أن ما تفعليه معهما سيفعله معك أبناؤك أو زوجاتهم، وتذكري قول الله عز وجل:

﴿ ۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾.

[الإسراء: ٢٣].

وإن كان زوجك مأمور بالبر بوالديه، فإن عليك واجباً تجاهه ألا وهو مساعدته على تمام البر بهما، وألا تكوني عثرة في طريق برهما، كأن تختلقي المشاكل مع والدته فتوقعيه في الحرج، ربما فضلك على والديه فتخسر خسراناً مبيناً وتخسرين معه لأنك كنت سبباً في ذلك.

وهناك وصية لأم فاضلة تحدثت مع ابنتها قبل حفلة عرسها فقالت:

يا بنيتي أنت مدينة لأم زوجك ولها عليك دين عظيم، والوفاء به صعب، فزوجك الذي تحبينه وتقدرينه وتحترمينه وتسعدين به وبعشرته وتفخرين به، ربته أمه، فحملته وهناً على وهن، وولدته، وأرضعته، وأطعمته، وأنامته، وسهرت عليه، وأضحكته وبكت عليه، وأذاقته الحنان والحب حتى امتلأ

قلبه، وحفظت عليه عواطفه، وهذبت أخلاقه حتى عانت وكابدت الكثير، وأفنت عليه صحتها وعمرها لتريحه وتربيه، وأرهقت نفسها خوفاً، ورجاء على مستقبله، حتى أهلته رجلاً مؤهلاً، وزوجاً كريماً، ها هو نتاج التعب والكفاح بين يديك أنت، أمانة أم عند زوجة، بل أنت أنت أيتها الزوجة لقد كنت أمل أم زوجك وأمانيها العظام منذ نعومة أظفار زوجك، كم كان يراود خيالها الطموح أن ترى ابنها الحبيب رجلاً يتزوج ويسعد بأعظم امرأة كم كانت تسمع ممن يعاشرونها الدعوات بأن يشب ويكبر وتكون له (عروسة) حلوة يسعد بها؟ إنه أنت التي كنت الأمل والخيال، حتى سعدت أمه بزواجه منك، واختياره لك، وفرحه معك، فكوني الأمل والفرح والراحة والمحبة لها يسعد هو بك، وكوني لزوجك كذلك تسعد هي بك وبه، والله يوفقك ويصونك). [الخلافات الزوجية، مجدي محمد الشهاوي ص(٣٣)].

هكذا كان الآباء والأمهات يوصون بناتهم عند زواجهن، فهلا أعدنا هذا التاريخ المشرق بهذه النصائح التي تحمي الزواج من الطلاق، وتجلب الخير للزوجين مع سعادة الدارين، والهناء والسرور للجانبين وللأسرتين، ما أحوجنا إلى ذلك، وإلى هذا الوعي لتكون سبباً في نجاح الزواج هذا الزواج المبارك.

ثانياً ـ صفات العلاقة السليمة:

ـ ولكي تكون العلاقة سليمة ناجحة موفقة في الزواج المبارك وجب على كل منهما أن يعرف نفسه أنه بشرٌ غير معصوم وأن له عادات وأسلوب حياة قد تختلف عن الآخرين، وله عقلية خاصة وطريقة خاصة في الحوار والكلام مع الآخرين، ومن خلال هذه المعرفة التي تتم قبل الزواج وبعده كان على كل منهما السعي إلى التفاهم مع الآخر، وفهمه والعمل على احتوائه، والوصول معه إلى حد من التوافق فيما بينهما، لتستمر حياتهما هنيئة رغيدة ممتلئة بالسعادة والنجاح والتوفيق والوفاق.

ولتحقيق ذلك أيضاً يجب على كل منهما أن يسعى إلى التحلي بصفات وأخلاق تؤدي إلى تلك العلاقة السليمة الناجحة الموفقة، والابتعاد عما ينفر ويفرق ويبعد من تلك الصفات والأخلاق السيئة.

فما أهم هذه الصفات والأخلاق والسلوكيات التي ينبغي على كل منهما التحلي بها؟.

أولاً ـ الحب الصادق والمتبادل بين الزوجين، بل القدرة على الإبداع في هذا الموضوع من كل منهما تجاه الآخر.

والحب دافع فطري متأصل في الإنسان، والحب عاطفة قلبية، فقلب المؤمن صادق الإيمان ممتلىء بحب الله سبحانه، وحبه لله هذا لا يعادله حب ولا يوازيه ولا يساويه، وحبه لله هذا يدفعه لمحبة رسول الله ﷺ وحب الوالدين وحب الصالحين وحب الأهل والزوجة والأولاد والحفدة كل بقدره المعلوم بالشرع، دون زيادة ولا نقصان، ولا إفراط ولا تفريط.

الحب بين الزوجين فطرة الله، ألم يقل الله في قرآنه:

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [آل عمران: ١٤].

والنبي ﷺ يقول:

«حبب إلي من دنياكم النساء والطيب، وجعلت قرة عيني في الصلاة».
[أخرجه أحمد والنسائي عن أنس رضي الله عنه].

والحب بين الزوجين في الزواج المبارك يُبنى بعد الخطبة فيبدأ بالتعارف، ثم بالاهتمام، ثم بالتقارب، ثم بالتفاهم، ثم بالتعاطف، ثم بالانبهار حتى يصل إلى الميل الدائم بالقلب الهائم.

فالحب بين الزوجين في الزواج المبارك حب دائم، وليس حب مؤقت، حب كامل وشامل ومستمر ومتزايد مع الزمن، حب مشروع، جعله الله بين الزوجين بمشيئته وإرادته وتقديره ﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١].

والود في الآية هي المحبة الصادقة لذلك وجب على كل من الزوجين السعي الحثيث عن هذا الحب وتعميقه فيما بينهما وعلى مر الأيام والسنين، فقد منّ الله عليهما بهذا الزواج الذي هو آية من آياته سبحانه:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓاْ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١].

فوجب عليهما تحقيق السكينة المطلوبة من الزواج مع المودة والرحمة ولا يكون ذلك إلا بالرضى والقناعة عما قسمه الله لهما كل من صاحبه، والسعي نحو تحقيق غايات الزواج وما يتعلق به، والحب في الحياة الزوجية هو الاخلاص، والطاعة، والعطاء، والإيثار، إنه تقديم حق الطرف الآخر على حق نفسه وتنازله عن الكبرياء ليحل الود والتفاهم بينهما.

وقد يشتكي بعض الأزواج من عدم تأقلمه مع زوجته وعدم حبه لها، فماذا يفعل، ولقد وجدت جواباً له عند ابن القيم، يقول الإمام ابن القيم الجوزية في موضوع تحت عنوان: (كيف تعامل زوجة لا تحبها) اقتطفت منه ما يلي: شكا رجل من بغضه لزوجته وقال: ما أقدر على فراقها لأمور منها: كثرة دينها عليّ، وصبري قليل، ولا أكاد أسلم من فلتات لساني في الشكوى، وفي كلمات تعلم ببغضي لها، فقلت له هذا لا ينفع وإنما تؤتى البيوت من أبوابها فينبغي أن تخلو بنفسك فتعلم أنها إنما سلطت عليك بذنوبك فتبالغ في الاعتذار والتوبة، فأما التضجير والأذى لها فلا ينفع كما قال الحسن بن الحجاج: عقوبة من الله لكم فلا تقابلوا عقوبته بالسيف وقابلوها بالاستغفار.

ذكر ابن العربي بسنده عن أبي عبد الرحمن: كان الشيخ أبو محمد بن أبي زيد من العلم والدين في المنزلة والمعرفة، وكانت له زوجة سيئة العشرة، وكانت تقصر في حقوقه، وتؤذيه بلسانها، فيقال له: كيف تصبر عليها فيقول: لعلها بُعثت عقوبة على ذنبي، فأخاف إن فارقتها أن تنزل بي عقوبة هي أشد منها.

واعلم أيها الزوج أنك في مثل هذا المقام أنت في مقام مبتلى ولك أجر بالصبر كما قال تعالى:

﴿ وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـٔٗا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ ﴾ [البقرة: ٢١٦].

فعامل الله سبحانه وتعالى بالصبر على ماقضى واسأله الفرج، فإذا جمعت بين الاستغفار وبين التوبة من الذنوب، والصبر على القضاء وسؤال الفرج حصلت ثلاثة فنون من العبادات تثاب على كل منهما، ولا تضيع الزمان بشيء لا ينفع، ولا تتخيل أنك تدفع ما قدر:

﴿ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ﴾ [الأنعام: ١٧].

وأما أذاك للمرأة فلا وجه له لأنها مسلمة فيكن شغلك بغير هذا، قال الرجل: وهذه المرأة تحبني حباً زائداً عن الحد وتبالغ في خدمتي، غير أن البغض لها مركوز في طبعي.

قلت له: فعامل الله سبحانه بالصبر عليها فإنك تثاب وقد قيل لأبي عثمان النيسابوري: ما أرجى عملك عندك؟ قال: كنا في صبوتي يجتهد أهلي أن أتزوج فأمتنع فجاءتني امرأة، فقالت يا أبا عثمان إني قد هويتك، وأنا أسألك بالله أن تتزوجني، فأحضرت أباها وكان فقيراً فزوجني وخرج بذلك، فلما دخلت إليّ رأيتها عوراء مشوهة، وكانت صحبتها لي تمنعني من الخروج فأقعد حفظاً لقلبها ولا أظهر لها من البغض شيئاً، وكأني على جمر الغضا من بغضها، فبقيت كذا خمس عشرة سنة حتى ماتت فما من عمل هو أحرى عندي من حفظي قلبها.

قلت له: فهذا عمل الرجال وأي شيء ينفع ضجيج المبتلى بالتضجير بإظهار البغض؟ وإنما طريقة ما ذكرته لك من التوبة والصبر وسؤال الفرج. [صيد الخاطر].

ـ أما أنا فأقول هكذا يجب أن يفعل الزوج مع زوجته إن لم يتمكن الحب منها، وكذلك الزوجة مع زوجها إن لم يتمكن الحب منه.

ولله در الحسن البصري رحمه الله كان يقول زوج ابنتك صاحب الدين فإن أحبها أكرمها وإن أبغضها لا يظلمها.

ـ هذا وإن مما يقوي الحب بين الزوجين في الزواج المبارك عدم تردد كل منهما في الإعراب عن حبهما لبعضهما وذلك كلما سنحت الفرصة لكل الطرفين.

إن قول الزوج لزوجته إني أحبك كثيراً، وقول الزوجة لزوجها إني أحبك كثيراً بين الفترة والأخرى يقوي الحب ويضفي عليه روعة وجمالاً.

إن هذه العبارة يجب أن تتردد بينهما دائماً ومع مرور الزمن والأيام، لا تفارق شفتيهما مع إظهار المشاعر في ذلك وعلى أعلى المستويات.

ما أجمل أن تسمع الزوجة من زوجها والله إني لأزداد حباً لك يوماً بعد يوم، وأن يسمع الزوج من زوجته مثل هذه العبارات.

ما أجمل أن تسمع الزوجة من زوجها أرجو من الله أن لا يفرق بيننا لا في الدنيا ولا في الآخرة، وأن يسمع الزوج من زوجته عبارات مماثلة.

ومن الظريف هذا الموقف:

يقال: كان هناك زوجان جالسان في شرفة المنزل، فقال الزوج لزوجته: هل رأيت جمال القمر؟ فقالت الزوجة: نعم، فقال الزوج: أنت أجمل من القمر.

سمع رجل بهذا الموقف فأحب أن يتلطف مع زوجته بمثله فخرج مع زوجته إلى النزهة، وكان القمر بدراً، فقال لزوجته: هل رأيت جمال القمر؟ فردت عليه الزوجة: وهل تظن أني عمياء.. نعم رأيته، فسكت الرجل وقد خابت آماله في التعبير عن حبه.

أيتها الزوجة المؤمنة ما هو موقفك أنت هل تستقبلين كلام زوجك بالعاطفة والحب أم بمثل هذا الجواب القاتم الذي يظهر خللاً في نفسية هذه الزوجة التي لا تستحق الحب والتعبير عنه.

ما أعظم أم الدرداء!:

عن لقمان بن عامرة عن أم الدرداء أنها قالت: اللهم إن أبا الدرداء خطبني فتزوجني في الدنيا، اللهم فأنا أخطبه إليك، فأسألك أن تزوجنيه في الجنة، فقال لها أبو الدرداء، فإن أردت ذلك وكنت أنا الأول فلا تزوجي بعدي، قال: فمات أبو الدرداء، وكان لها جمال وحسن فخطبها معاوية، فقالت: لا والله لا أتزوج زوجاً في الدنيا حتى أتزوج أبا الدرداء إن شاء الله عز وجل في الجنة.

الله الله هكذا كان حبهم صادقاً في الدنيا، الزوج لزوجته، والزوجة لزوجها، وكانت تتمنى أن تتزوجه في الآخرة، حتى أنها حرمت نفسها من الزواج بعده مع أنها كانت أجمل الصحابيات، وخطبت من معاوية أمير

المؤمنين فلم ترضه وآثرت أن يكون زوجها أبو الدرداء الوحيد لها في الدنيا، ليكون لها في الآخرة.

ما أجمل الحب بين الزوجين! وما أجمل الوفاء بينهما! وجمع الله كل متحابين من الأزواج في الآخرة كما جمع بينهما في الدنيا.

الزوج في الزواج المبارك لا يضيع على نفسه فرص سعادة وحب وأنس يحصل عليها من وراء كلمة حلوة، ونظرة باسمة نحو زوجته، يملك بها قلب زوجته ويمتلكان معاً سعادة لا توصف.

الكلمة الطيبة أساس متين تُبنى عليه علاقات الحب والمودة والرحمة والتربية، إن الكلمة الطيبة تهيىء المناخ المناسب نحو علاقة تثمر سعادة وفرحاً وابتهاجاً وانطلاقاً وتحقيقاً لكثير من معاني الخير والسعادة.

وإن الكلمة الطيبة أغلى عند الزوجة في كثير من الأحيان من الحلي الثمين، والثوب الفاخر الجديد، ذلك لأن العاطفة المحببة التي تبثها الكلمة الطيبة غذاء الروح، فكما أنه لا حياة للبدن بلا طعام، فكذلك لا حياة للروح بلا كلام حلو لطيف.

والزوج في الزواج المبارك لا يقع في خطأ يرتكبه كثير من الأزواج الحمقى وهو خطأ مدمر للحياة الزوجية.

هذا الخطأ قائم على ظن هذا الزوج أن زوجته قد ولدت له ولدين أو ثلاثة أو أكثر وأنهما لم يعودا عروسين يحتاجان إلى العاطفة والمجاملة أو الكلمة الطيبة اللطيفة، قد مضى وقت ذلك، إن هذا خطأ فادح يجر ذيول التعاسة والشقاء على عش الزوجية، وقد يدمر بناء الأسرة ويقضي على نفسية الأولاد، إن تجاهل هذا الزوج حاجة الزوجة إلى العاطفة العذبة التي تثيرها الكلمة الطيبة، يجعلها تحمل بين جوانبها حجراً مكان القلب مما يعكر على الزوج حياته لأنهما يعيشان بالمعاني لا بالأجساد فقط.

كذلك ينبغي للزوجة في الزواج المبارك مهما أنجبت من الأولاد ألا تنشغل بهم عن حقوق زوجها وألا تظن أن الأيام الحلوة للزواج في المرحلة الأولى قد انتهت.

أبداً الحياة السعيدة عند الزوجة المؤمنة تستمر مدى حياتها مع زوجها لأنها تعطي كل ذي حق حقه، وهي على دراية أن زوجها يتأثر بانشغالها بأولادها عنه لذلك تسعى أن تؤدي حقوق أولادها قبل مجيء زوجها فإن أتى زوجها قدمت له كل ما كانت تقدمه في الأيام الأولى من كلمة طيبة وابتسامة مشرقة ومنظر حلو جذاب وحنو وقرب، حتى تستمر السعادة، ويدوم الحب والوئام وتتجدد الحياة، مدى الحياة بينهما دون أي عائق يغير حبهما لبعضهما وشعورهما بالسعادة الدائمة.

وفي الزواج المبارك يدرك الزوج أن جميع النساء غيورات فيجب عليه ألا يذكر أمام زوجته أي اهتمام له بأي امرأة، وعليه ألا يذكر جمال أحد من النساء أمامها، فإن ذلك يثير الغيرة والغضب فيها مما يعكر صفو الحب بين الزوجين فهو دائماً يذكر حبه لها وأنه يجدها أفضل وأجمل من رأى بحياته.

كذلك الزوجة الصالحة لا تظهر أي اهتمام أمام زوجها بأي شخص مهما كان أمره ومكانته فزوجها فقط عندها هو الوحيد في قلبها وعقلها وحبها ووجودها.

ـ الحب بين الزوجين في الزواج المبارك حب متبادل فالإنسان يحب من يحبه ويهتم به ويقابله بالتحية الحارة ويبادله الهدايا والنداء بأحب الأسماء إليه، والتبسم في وجهه لكلا الطرفين، دليل على الحب الصادق المستمر، وكل هذه الأمور وغيرها تفتح أمام الزوجين آفاقاً من الحب الصادق، والسعادة الغامرة، فينبغي أن يكون الزوج أحب الناس لزوجته، كما تكون هي أحب الناس إليه، وقد سئل النبي ﷺ عن أحب الناس إليه فقال: **«عائشة»**.

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: بعثني رسول الله ﷺ على جيش ومنهم أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، فلما رجعت قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قلت: إنما أعني من الرجال قال: «أبوها» متفق عليه.

هكذا صراحة وصدق النبي ﷺ فهو لم يخف حبه لزوجته عائشة رضي الله عنها.

ولما سأل عمرو بن العاص النبي ﷺ هذا السؤال كان حديث عهد بالإسلام، وظن عندما ولاه النبي ﷺ إمارة الجيش أنه خير من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكان سؤاله النبي ﷺ عن أحب الناس إليه، وقد أخبر النبي ﷺ أن أبا بكر وعمر وعثمان وعلي ـ حسبما سأل عمرو بن العاص ـ هم أحب إليه من غيرهم، فتمنى عمرو أنه لم يكن قد سأل.

ـ ومن مظاهر الحب أن يفرح كل منهما بفرح الآخر ويحزن لحزنه، ويسر لسروره، فرحم الله امرأة نظرت في عين زوجها فأدركت حاله فطوعت حالها لحاله وكانت عوناً له وأكبرته في نفسها فإن كان مسروراً تبسمت في وجهه وإن كان غير ذلك حملت على كاهلها عبء الترويح عن نفسه، وتخفيف الحمل، وتهدئة النفس.

كذلك يجب على الزوج أن يبادل زوجته حالتها النفسية ويسعى لإزالة انزعاجها وما يغضبها وحزنها بكلماته العذبة وعباراته المشوقة.

الحب عشرة طيبة ومودة ورحمة وسماحة ومغفرة، وليس الحب كما يصوره بعض كتّاب القصص فتنسج له الخيالات وترسم صورة الزوج وكأنه نبي من الأنبياء أو ملك من المقربين، حتى إذا رأت الزوجة من زوجها ما تكره ظنت أن الزواج قد فشل، وتحطمت أحلامها على صخرة الواقع، لا أيتها الزوجة فإن المثالية غير موجودة في الحياة الدنيا، وكل له عيوبه، وكفى بالمرء فخراً أن تعد معايبه، وقد قال النبي ﷺ للأزواج:

«لا يفرك ـ لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر» [رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه].

وكذلك أنت أيتها الزوجة المؤمنة إن كرهت من زوج خلقاً رضيت منه أخلاقاً أخرى، وتذكري قول حكيم حين قال: ما تقول زوجة في زوجها الذي ترك كل النساء واختارها هي؟ وما تفعل زوجة مع زوجها الذي ترك الوالدين والأهل والأصدقاء ولم يرض أليفاً ولا أنيساً له غيرها؟.

فأنت أنيسه وجليسه وحبيبه، وما أجمل هذا التعبير الإلهي:

﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ [البقرة: ١٨٧].

ثانياً ـ حسن العشرة والمعاملة بينهما:

وذلك عملاً بقوله تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء: ١٩].

وقوله عليه الصلاة والسلام في خطبة الوداع: «ألا واستوصوا بالنساء خيراً فإنهن عوان عندكم ليس تملكون منهم شيئاً غير ذلك، إلا أن يأتين بفاحشة مبينة، فإن فعلن فاهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح، فإن أطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلاً، ألا إن لكم على نسائكم حقاً ولنسائكم عليكم حقاً، فحقكم عليهن ألا يوطئن فرشكم من تكرهون ألا وحقهن عليكم أن تحسنوا إليهن في كسوتهن وطعامهن».

[أخرجه ابن ماجه والترمذي وقال حديث حسن صحيح].

ومن حسن العشرة والمعاملة أن ينمي الزوج في نفسه صفات الفكاهة والمرح مع زوجته لإدخال السرور إلى قلبها والتخفيف من قساوة الحياة، وكذلك الزوجة عليها أن تنمي فيها هذه الصفة، لأن ذلك يساعد على تقوية أواصر المحبة بين الزوجين.

ـ **ولقد كان النبي ﷺ مثلنا الأعلى في ذلك فما دخل إلى بيت أزواجه إلا وهو يبتسم يحدثهم بأسلوبه العاطفي ويمازحهم ليدخل السرور عليهم، ولا يجد مناسبة لذلك إلا أقدم عليها ودعا نساءه إليها.**

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: والله رأيت النبي ﷺ يقدم على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد، ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم، بين أذنيه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو.

[متفق عليه].

ولننظر إلى حسن معاشرة النبي ﷺ لزوجاته ولو كن في حالة غضب، فإنه يستقبل ذلك بحلمه وبشاشته وابتسامته ورضاه مبتعداً عن الغضب والانفعال، فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت عليَّ غضبى»، فقلت: ومن أين تعرف ذلك فقال: «إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد،

وإذا كنت علي غضبى قلت لا ورب إبراهيم» قالت: أجل، يا رسول الله والله ما أهجر إلا اسمك. [متفق عليه].

- ومن منا يحمل مسؤولية وهمّاً كما يحمله النبي ﷺ ولكنه مع كل ذلك كان يعلمنا كيف نجدد الحياة الزوجية دائماً حتى لا تكون الحياة مملة ومقيدة، وروت السيدة عائشة رضي الله عنها: أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر وهي جارية، قالت: لم أحمل اللحم ولم أبدن فقال: لأصحابه: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك»، فسابقته فسبقته على رجلي فلما كان بعد - وفي رواية- فسكت عني حتى إذا حملت اللحم - سمنت- وبدنت ونسيت خرجت معه في سفر - فقال لأصحابه: «تقدموا» فتقدموا ثم قال: «تعالي أسابقك» ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم فقلت: أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن»، فسبقني فجعل يضحك، وقال: «هذه بتلك». [أخرجه الحاكم وأبو داود والنسائي وهو حديث صحيح].

وقال الحافظ العراقي: كان رسول الله ﷺ من أفكه الناس.

وعلى الزوج في الزواج المبارك أن يعلم أن مهمته ليست فقط توفير الحياة المادية الكريمة لزوجته فحسب، وليس الزواج أداء للحقوق بطريقة مادية، وإنما الزواج تآلف وتآزر، وتعاون ومحبة، وود، ورحمة، ومعاشرة بالمعروف، وملاطفة وممازحة، فالمرأة كما تحتاج إلى الطعام والشراب والمسكن وغيرها من الأمور المادية، تحتاج إلى الكلمة الحانية، والنظرة الرقيقة، والقبلة العطوف، والمداعبة والمؤانسة، وتكره المرأة الرجل الذي يجعلها محلاً لشهوته فحسب، فتشعر أنه يريد أن يرضي رغبته بغض النظر عن إرضاء عاطفتها، وإشعارها بالحب والود، فهي تكره الشهوة بمعناها الحيواني، وتحب الشهوة بمعناها الإنساني الراقي، تحب الكلمة الطيبة، والابتسامة الفياضة ورقة المشاعر والعطف عليها ومداعبتها كما أمر النبي ﷺ في توجيهاته في هذا الموضوع.

- ومن مظاهر حسن العشرة بين الزوجين أن يتفقد كل منهما حالة الآخر وتغير أمره والعمل على إزالة ما يزعجه من مشاكل الحياة وهمومها ولنضرب مثلاً رائعاً في مثل هذا الأمر « دخلت سُعدى على زوجها طلحة بن عبد الله

الصحابي فرأت على وجهه سحابة هم لم تعرف سببها، وخشيت أن تكون قد قصرت في حق أو فرطت في واجب فبادرت قائلة: مالك لعلك رابك منا شيء فنعتبك؟ قال: لا ولنعم حليلة المرء المسلم أنت، ولكن اجتمع عندي مال ولا أدري كيف أصنع به.

قالت: وما يغمك منه، ادع قومك فاقسمه بينهم.

قال: يا غلام عليّ بقومي، فقسم أربعمائة ألف».

[أخرجه الطبراني بإسناد حسن].

هاهي المرأة الصالحة سعدى تتفقد زوجها في مشاعره وأحاسيسه، فهي تشعر بمعاناته، وتعيش همومه وغمومه، وتفرح لفرحه، وتحزن لحزنه، ليس هذا فقط بل إنها ارتابت في نفسها أن تكون هي سبب همه وغمه، كذلك هي مستعدة للرجوع عن الخطأ والإساءة من أجل أن تعيد ابتسامته وسروره.

ومن أهم مظاهر حسن العشرة: أن يثني كل منهما على الآخر في مجهود عمله، وأن يعبر بأفضل العبارات عن شعوره بمقدار تعبه.

في الزواج المبارك إذا دخل الزوج إلى بيته أسرعت زوجته إليه بالتأهيل والتسهيل وبألطف العبارات وأعذب الكلمات وأجمل وأعطر اللقاءات.

ـ يا أهلاً بتاج رأسي وزينة حياتي.

ـ يا من تتعب لأجلنا، وتتحمل من أجل سعادتنا.

ـ أهلاً في بيتك قد هيأته على أحسن ما يكون لتستريح فيه، وتنال سروراً ينسيك تعب يومك وكفاح عملك.

ـ وإذ بالزوج مبتسماً وبأحب الكلمات لزوجته ملاقياً، وأنت يا أجمل النساء وأحب الأحباب على قلبي، جزاك الله على ما تتحملين من أجلي، وتسارعين لرضائي، أشعر بكل ما تقدمينه في البيت من عمل مضنٍ من الصباح إلى المساء، فها أنا ذا قد أتيت لأنعم بك وأسعد وأنسى وأنسيك كل تعب نلقاه.

هكذا عيش السعداء من الأزواج العقلاء في الزواج المبارك.

ثالثاً ـ الانسجام مع الواقع والتغاضي عن الأخطاء فيما بينهما، والتحلي بالحلم والصبر والاحتمال:

لم يتم الرضى بين الزوجين في الزواج المبارك إلا بعد تفكير وتمحيص وبحث وسؤال وجواب واختيار فيما يرضي الله ورسوله، من كلا الطرفين، وبتقدير من الله عز وجل.

عن عروة بن محمد السعدي عن أبيه أن رجلاً من الأنصار أتى رسول الله ﷺ فقال: إني أريد أن أتزوج امرأة فادع لي، فأعرض عنه ثلاث مرات، كل ذلك يقول: ثم التفت إليه فقال: «**لو دعا إسرافيل وجبريل وميكائيل وحملة العرش وأنا فيهم ما تزوجت إلا المرأة التي كتبت لك**». [كنز العمال].

لذلك عندما يتم الزواج، ينبغي على كل من الزوجين أن يسعى للانسجام مع الآخر ولما كان كل إنسان يتربى في بيئة معينة فإن لكل إنسان عادات وتقاليد وأفكار، تختلف عن الآخرين قليلاً أو كثيراً، هذا وإن كل إنسان مقتنع فيما هو عليه بأنه يسير بطريق صحيح، وأن العادات التي تخالف آراءه وممشاه وعاداته هي في الطريق الخطأ.

ولإتمام نجاح الزواج في الزواج المبارك، أن يدرك كل من الزوجين هذه المسألة وأن على كل منهما أن يتفهم الآخر ويسعى كل منهما للوفاق بين المسائل المختلفة ويحاولان الانسجام مع الواقع الجديد بعادات مشتركة بينهما ويتغاضى كل منهما عن الأخطاء التي تصدر من الآخر.

ونبينا ﷺ ينبهنا إلى ذلك ويوجه الزوج إلى أنه قد يجد من زوجته خلقاً يكرهه فعليه أن يستقبله بالصبر والحلم دون مبادرة إلى الانفعال والبغض، فإنك إن كرهت منها خلقاً أحببت منها خلقاً آخر، فإنما هي إنسانة فيها ما في سائر الناس من الخير والشر وإلى هذا يشير قوله ﷺ:

«**لا يفرك ـ أي لا يبغض ـ مؤمن مؤمنة إن كره منها خلقاً رضي منها آخر**».
[أخرجه مسلم وغيره من حديث أبي هريرة].

ولله در القائل:

ومن ذا الذي ترضى سجاياه كلها كفى المرء نبلاً أن تعد معايبه

ـ ولقد حدثنا النبي ﷺ عن نساء الجنة فعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ألا أخبركم بنسائكم في الجنة» قلنا بلى يا رسول الله قال:

«ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها، أو غضب زوجها قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض ـ أي لا أنام ـ حتى ترضى».

[أخرجه النسائي والطبراني وأبو نعيم].

هكذا تكون الزوجة المؤمنة ودود لا تغضب من زوجها أو أهله ولو أسيء إليها، فإن غضب زوجها منها لا تنام حتى تقوم بما يرضيه زوجها من ألوان الإغراء والكلام الحسن، والابتسامة الجذابة المشرقة.

أما المرأة التي تغضب لنفسها وتعاقب زوجها بهجرانه وترك غرفته وفراشه فقد وقعت في معصية كبيرة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«إذا باتت المرأة مهاجرة فراش زوجها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

وفي رواية حتى ترجع. [متفق عليه].

وليس هذا فحسب بل إنه لا يرفع لها عمل إلى الله عز وجل حتى ترضي زوجها في هذا الأمر وغيره، فعن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«ثلاثة لا تجاوز صلاتهم آذانهم: وذكر منهم وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط». [أخرجه الترمذي].

وليس هذا فحسب بل إن زوجته من الحور العين تدعو على هذه الزوجة، فعن معاذ رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال:

«لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا، إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخيل ـ ضيف ونزيل ـ يوشك أن يفارقك إلينا». [أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه].

كما وصى النبي ﷺ الأزواج العناية بأزواجهن وبين إلى طريق التفاهم مع جبلتها التي خلقها الله عليها، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«استوصوا بالنساء خيراً فإن المرأة خلقت من ضلع أعوج، وإن أعوج ما في الضلع أعلاه، فإن ذهبت تقيمه كسرته، وإن تركته لم يزل أعوج، فاستوصوا بالنساء خيراً». [متفق عليه].

وفي رواية: «إن المرأة خلقت من ضلع لن تستقيم لك على طريقة فإن استمتعت بها، استمتعت بها وفيها عوج وإن ذهبت تقيمها كسرتها وكسرها طلاقها». [متفق عليه].

وقديماً قال الشاعر:

هي الضلع العوجاء لست تقيمها ... ألا إن تقويم الضلوع انكسارها

أيجمعن ضعفاً واقتداراً على الفتى ... أليس عجيباً ضعفها واقتدارها

- ولما زوج النبي ﷺ السيدة فاطمة من ابن عمها علي رضي الله عنهما أوصاها بقوله:

«يا فاطمة أكرمي علياً، يا علي لا تغضب». [متفق عليه].

هذا وإن من أعظم وصايا النبي ﷺ للأزواج قوله:

«خيركم خيركم لأهله وأنا خيركم لأهلي». [أخرجه ابن ماجه].

- والزوج والزوجة في الزواج المبارك يبتعدان عن الغضب وخاصة عند الحوار والمناقشة، أو عدم حصول كل منهما على طلباته كاملة، أو في مواجهات الحياة المختلفة، أن يصبر كل منهما على الآخر، ويبتعدان عن المشاجرة والصياح، وأن يتحمل أحدهما الآخر وخاصة عند الانفعال الشديد من أحدهما، فيجب أن يقابل الآخر هذا الانفعال بالروية والتؤدة والحلم واللين، إلى أن يؤول الغضب ويهدأ الحال، ويعلم كل منهما أمر الآخر.

قال أبو الدرداء لامرأته: إذا رأيتني غضبت فرضيني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك وإلا لم نصطحب.

خذي العفو مني تستديمي مودّتي ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
ولا تنقريني نقرك الدّفَ مرةً فإنك لاتدرين كيف المُغيّب
ولا تُكثري الشكوى فتذهب بالقُوى ويأباك قلبي والقلوب تُقلّب
فإني رأيتُ الحُبّ في القلب الأذى إذا اجتمعا لم يلبثِ الحبُّ يذهب

فالزوج في الزواج المبارك يصبر على زوجته إن راجعته في أمور الحياة، وهي تصبر عليه.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه «والله كنا في الجاهلية ما نعهد للنساء شيئاً، حتى أنزل الله تعالى فيهن ما أنزل، وقسم لهن ما قسم، وبينما أنا في أمر أتأمره إذ قالت لي امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، فقلت لها: ومالك أنت ولما هنا، وتكلفك في أمر الدين، فقالت لي: عجباً يا ابن الخطاب؟ ما تريد أن تراجع أنت؟! إن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فأخذت ردائي ثم انطلقت حتى دخلت حفصة فقلت لها: «يا بنية إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فقالت: إنا والله لنراجعه» [أخرجه البخاري بنحوه].

ولنعلم أن النبي ﷺ وإن غضب من مراجعة نسائه له لكن غضبه لا يتعدى إلى ما يغضب الزوجة وإنما يزول ذلك منه بعد وقت ويعود إلى أهله وكأن شيئاً لم يحدث.

تروي السيدة عائشة رضي الله عنها فتقول: كان بيني وبين رسول الله ﷺ كلام فقال لي: «هل ترضين أن يكون حكماً بيني وبينك أبو عبيدة بن الجراح»، قلت: لا، ذلك رجل هين يقضي لك، قال عليه الصلاة والسلام: «أترضين بأبيك الصديق»! قلت: نعم، وجاء أبي، فقال لي رسول الله ﷺ: «اقصصي عليه» قلت: اقصص أنت، فقال الرسول لأبي: «هي كذا وكذا»، «وذكر ما بيننا»، فقلت: أقصد «اختصر» فرفع والدي الصديق يده ولطمني وقال لي: أتقولين يا بنت ـ أم رومان ـ لرسول الله أقصد! ومن يقصد إذا لم يقصد رسول الله؟ فسال الدم من أنفي، لكن رسول الله حجز بيني وبين والدي. ومنعه من أن يضربني مرة أخرى، ويقول له: «إنا لم نرد منك هذا»؟

ثم جعل المصطفى يغسل الدم عن ثيابي ويقول لي: «أرأيت كيف أنقذتك من الرجل» فصلى الله على معلم الناس الخير.

ـ لكي يدوم الوفاق بين الزوجين في الزواج المبارك على كل طرف منهما ألا يقابل انفعال الطرف الآخر بمثله، فإذا رأى أحد الزوجين صاحبه منفعلاً مضطرباً، فعليه أن يكظم غيظه ولا يرد على الانفعال مباشرة وهذه النصيحة يجب أن تعمل بها المرأة خاصة أكثر من الرجل، رعاية لحق الزوج، ولله در محمد بن إبراهيم الأنطاكي عندما قال: حدثنا محمد بن عيسى قال: أراد شعيب بن حرب أن يتزوج امرأة، فقال لها: إني سيىء الخلق، فقالت: أسوأ منك خلقاً من أحوجك أن تكون سيىء الخلق، فقال: إذاً أنت امرأتي.

وفي قوله تعالى:

﴿ وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ [الروم: ٢١].

ما يدل على أن الحقوق بين الزوجين متبادلة طبقاً لمبدأ: كل حق يقابله واجب، فكل حق لأحد الزوجين على زوجه، يقابله واجب يؤديه إليه وبهذا التوزيع تكفلت هذه القاعدة على تحقيق التوازن بين الزوجين من كافة النواحي، مما يدعم استقرار حياة الأسرة، واستقامة أمورها، وحلول السعادة بينهما، ويوضح هذه المسألة قول ابن عباس رضي الله عنهما: «إني لأتزين لامرأتي كما تتزين لي، وما أحب أن أستنطق كل حقي الذي لي عليها ـ أي آخذه كله ـ فتستوجب حقها الذي لها علي، لأن الله تعال قال:

﴿ وَلَهُنَّ مِثْلُ ٱلَّذِى عَلَيْهِنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

[الجامع لأحكام القرآن للقرطبي].

ـ من هنا نعلم أن المودة التي جعلها الله بين الزوجين لا تهبط علينا هبوطاً، ولا تنبع من تحت أرجلنا نبعاً، إن لم نسع إليها ونأخذ بأسبابها الموصلة إليها حتى نبلغها.

ـ دخلت امرأة بحالة مزرية مهملة لنفسها على السيدة عائشة رضي الله عنها فسألتها عن حالتها، فقالت: إن زوجي صوام قوام وهو مشغول عني، في النهار صائم، وفي الليل قائم، فأخبرت عائشة النبي ﷺ فأرسل وراء

الرجل وقال يا فلان: أليس لك بي أسوة؟ ونصحه أن يعطي كل ذي حق حقه، وفي اليوم الثاني جاءت هذه المرأة إلى السيدة عائشة، كما تروي الأخبار عطرة نضرة، فسألتها عن حالها فقالت: أصابنا ما أصاب الناس.

ـ وجاءت امرأة إلى أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه فقالت له: إن زوجي صوام قوام، لم ينتبه سيدنا عمر رضي الله عنه فقال: بارك الله في زوجك، فقال له أحدهم: إنها تشكوه يا أمير المؤمنين ولا تمدحه، فجاء به ونصحه وقال له: إن لأهلك عليك حقاً.

ـ وفي حديث عوف بن جحيفة عن أبيه قال: آخى النبي ﷺ بين سلمان وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء مبتذلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء فصنع طعاماً، فقال: كل، قال: فإني صائم، قال سلمان: ما أنا بآكل حتى تأكل، قال: فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم قال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان من آخر الليل قال سلمان: قم الآن، فصليا، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له فقال ﷺ: «صدق سلمان». [أخرجه البخاري].

ولا يظن أحد أن سلمان حين قال هذا لم يكن يفهم جيداً الإسلام أو كان يأخذ بالرخصة وليس بالعزيمة، كلا. فسلمان رضي الله عنه من المؤمنين حق الإيمان ولا يخفى ذلك على من يعرف سيرته، وكيف لا، وقد وضع الرسول ﷺ يده على سلمان ـ وعنده جماعة من الصحابة ـ ثم قال:

«لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال، أو رجل، من هؤلاء».

[متفق عليه].

وإننا لنذكر قول النبي ﷺ في سلمان: «سلمان منا آل البيت».

[رواه الحاكم في المستدرك].

ومن الانسجام مع الواقع أيضاً الانسجام مع واقع الحالة المادية فلم يتم الزواج إلا بعد رضى الطرفين في كل منهما على الأحوال والظروف المعيشية

لكل منهما لذلك يجب أن تنسجم المرأة مع واقع زوجها المادي، ولا تطلب منه المستحيل أو ما هو فوق استطاعته، وقد يمر الزوج في حالة عسر بعد يسر أو يسر بعد عسرة، فيجب على الزوجة تحمل أحوال زوجها ومساعدته على ذلك مع الرضا عن الله وعطائه، والحياة ليست فقط في الأمور المادية، بل عليها أن تظهر أمامه سرورها ورضاها بما قسم الله لهما، بل وتشجعه على الصبر والتحمل فإن ذلك يرضي الله ورسوله ويرضيها في زوجها ويرضي عنها زوجها فيبارك الله لهما في حياتهما.

كذلك فإن على الرجل تحمل زوجته وما تمر عليه، فقد تمر الزوجة باعتبارها امرأة على بعض الأمور التي لا محالة عنها، وقد تؤثر عليها سلباً، مثل الحيض أو الحمل أو الإرضاع أو انقطاع الحيض، والمسمى «بسن اليأس» فتلك الأمور تؤثر تأثيراً كبيراً على نفسية المرأة، ومن ثم تؤثر على أخلاقها وطباعها، فيجب على الزوج إدراك ذلك، وتحمل تلك الآثار بل مساعدة زوجته على تخطيها وتخفيف أعبائها، مع الرضى والسرور والتحمل والصبر.

وعلى الزوج المؤمن أن يعلم أن زوجته أمانة في عنقه وأن المحافظة على صحتها وسلامتها واجب عليه، فلا يتهاون في ذلك، حتى لا يستفحل ما تصاب به من علل أو أمراض وليبادر لها الكشف الطبي عند المتخصصين، وليهتم بطعامها حال المرض، وبتغذيتها التغذية الصحية السليمة التي تقوى بها، وقد كان رسول الله ﷺ إذا أخذ أهله الوعك ـ أي المرض ـ يأمر بالحساء ـ المرق ـ فيصنع ثم يأمر أهله أن يحسوا ـ يشربوا ـ ويقول عليه الصلاة والسلام: «إنه يرتو ـ يشد ـ فؤاد الحزين، ويسرو ـ يكشف ـ عن فؤاد السقيم كما تسرو إحداكن الوسخ عن وجهها». [أخرجه الترمذي].

رابعاً ـ حفظ الأسرار التي بينهما وعدم إفشائها بين الآخرين:

إن من أهم السعادة الزوجية واستمرارها على أفضل ما يكون في الزواج المبارك حفظ الأسرار بين الزوجين وخاصة فيما يتعلق بهما والتي تكون بينهما، وذلك عندما أصبح الزوج والزوجة تحت سقف بيت واحد، يفضي كل منهما للآخر أسراره، والأسرار كثيرة ومتنوعة، ولذلك نهى رسول الله ﷺ أن يفشي الرجل سر زوجته، أو تفشي المرأة سر زوجها، فلا يذكر

أحدهما قرينه بسوء بين الناس، ولا يفشي سره، ولا يخبر بما يعرفه عنه من العيوب الخفية، لكنه في حق المرأة آكد وأقوى، لأن الخطر في تساهلها عظيم جداً، يهدد بأفظع النتائج الدينية والدنيوية، ويدمر الأسرة، فالمرأة الصالحة حافظة لزوجها في غيابه، من عرض فلا تزني، ومن سر فلا تفشي، ومن سمعة فلا تجعلها مضغة في الأفواه.

- ومن أهم حفظ الأسرار: عدم نشر وإفشاء ما يكون بين الزوجين من العلاقات الزوجية فهي من الأمور المحرمة التي لا يجوز علم ومعرفة الناس بها، كما قال تعالى واصفاً الزوجة الصالحة:

﴿ فَٱلصَّـٰلِحَـٰتُ قَـٰنِتَـٰتٌ حَـٰفِظَـٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ [النساء: ٣٤].

قال أحد المفسرين: «حافظات للغيب» أي لما يجري بينهن وبين أزواجهن مما يجب كتمه وستره.

ولحديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال:

«إن من أشر الناس عند الله منزلة يوم القيامة، الرجل يفضي (كناية عن المعاشرة الزوجية) إلى امرأته، وتفضي إليه، ثم ينشر أحدهما سر صاحبه».
[أخرجه مسلم وأحمد والبيهقي وغيرهم].

ولما روت أسماء بنت يزيد أنها كانت عند رسول الله ﷺ والرجال والنساء قعود فقال: «لعل رجل يقول ما يفعل بأهله، ولعل امرأة تخبر بما فعلت مع زوجها، فأرم القوم» - أي سكتوا - فقلت: أي والله يا رسول الله إنهن ليفعلن، وإنهم ليفعلون قال: «فلا تفعلوا إنما ذلك الشيطان لقي شيطانة في طريق فغشيها والناس ينظرون».

[أخرجه الحاكم وله شواهد يقوى بها إلى درجة الحسن].

ما أروع توجيه النبي ﷺ وطريقة تربيته للمسلمين وما أروع أمثلته في ذلك!.

فالزوج أو الزوجة إذا تكلما عن أسرارهما هما شيطان وشيطانة يعرضان أمرهما أمام الناس جهرةً، وهذا أبشع وصف لذلك، فهل اتعظ الأزواج والزوجات في هذا المثال النبوي، وحفظ كل منهما أسراره مع الآخر ولم يطلعا أمرهما لأحد مهما كانت قرابته وصلته.

ـ ومن إفشاء الأسرار التفتيش عن العيوب، وذكرها للناس، وخاصة إذا وقعت الخصومة بين الزوجين، فيذكر كل منهما عيب صاحبه لذلك يجب على الزوجين عندما ينشب بينهما أي خلاف ألا يؤدي إلى إفشاء الأسرار فإن ذلك يبعد عن الصلح وحل الخلافات ويعقدها ويؤدي بها إلى ما لا يحمد عقباه.

خامساً: احترام كل منهما الآخر وتقديره له:

إن الاحترام والتقدير من الزوجين كل للآخر من أهم ما يجلب السعادة بينهما ويديم أواصر الصلة والود، وتنعم الأسرة بالاستقرار والاستمرار.

من أهم هذا الاحترام والتقدير ذكر كل منهما للآخر محاسن أخلاقه ومدحه والثناء عليه بأطيب الكلمات وأعذب العبارات مع الشكر الدائم بأجمل العبارات.

ـ وإن الشكر بينهما لا يكون في اللسان فحسب، وإنما يكون بالعمل أيضاً، فالزوجة المؤمنة في الزواج المبارك تشكر زوجها الذي أعانها على عفة نفسها بزواجه منها، ومنه رزقت الأولاد، وهو يسعى ليل نهار لإسعادها وأولادها والإنفاق عليهم بالكسوة والطعام والمسكن وغير ذلك.

يقول الإمام ابن الجوزي رحمه الله (ينبغي على المرأة العاقلة إذا وجدت زوجاً صالحاً يلائمها، أن تجتهد في مرضاته، وتتجنب كل ما يؤذيه، فإنها متى آذته أو تعرضت لما يكرهه، أوجب ذلك ملالته وبقي ذلك في نفسه، فربما وجد فرصته فتركها أو آثر غيرها، فإنه قد يجد ولا تجد هي، ومعلوم أن الملل للمستحسن قد تقع، فكيف للمكروه). [أحكام النساء ص(٧٨)].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ:

«لا ينظر الله إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه».

[أخرجه النسائي والبيهقي والحاكم وغيرهم].

ولقد سمى النبي ﷺ تناسي الزوجة فضل زوجها كفراً وجعله الله سبباً لدخولها نار جهنم فعن أسماء بنت زيد الأنصارية رضي الله عنها قالت: مرَّ بي النبي ﷺ وأنا في جوار أتراب لي فسلم علينا وقال:

«إياكن وكفر المنعمين» فقلت: يا رسول الله وما كفر المنعمين؟ قال:

«لعل إحداكن تطول أيمتها من أبويها، ثم يرزقها الله زوجاً ويرزقها منه ولداً، فتغضب الغضبة فتكفر، فتقول ما رأيت منك خيراً قط».

[أخرجه البخاري وأبو داود والترمذي وغيرهم].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: أن رسول الله ﷺ قال للنساء:

«يا معشر النساء تصدقن، فإني رأيتكن أكثر أهل النار» فقلن: وبم ذلك يا رسول الله قال: «تكثرن اللعن، وتكفرن العشير». [متفق عليه].

قيل لأعرابي: صف لنا شر النساء فقال (شرهن: السلفة البطرة النفرة السريعة الوثبة كأن لسانها حربة، تضحك من غير عجب، وتبكي من غير سبب وتدعو على زوجها بالحرب، أنفٌ في السماء، واستٌ في الماء، عرقوبها حديد منتفخة الوريد، كلامها وعيد، وصوتها شديد، تدفن الحسنات، وتفشي السيئات، تعين الزمان على بعلها، ولا تعين بعلها على الزمان، ليس في قلبها عليه رأفة، ولا عليها منه مخافة، إن دخل خرجت وإن خرج دخلت وإن ضحك بكت وإن بكى ضحكت . .).

[المستطرف للأبشيهي (٢/ ٣٠٢)].

ومن مظاهر هذا الاحترام والتقدير أن يكون الحوار بينهما قائماً على هذا الاحترام والتقدير دون الاستهتار بالآخر أو السخرية من رأيه والاستهزاء به، بل عليها تقدير واحترام رأيه وتعزيز أفكاره والثناء عليه والأخذ به مع آداب الحوار والمناقشة ودون غضب أو رفع صوت أو شتم أو إصرار ومكابرة على الخطأ، كذلك على كل منهما احترام أهل الآخر دون التوخي بأي نقص أو استهزاء أو سخرية أو ذم بل على عكس ذلك أن يذكر الأهل من قبل كل منهما دائماً بالخير والمدح والثناء والحب والتقدير والاحترام.

فلا يغتاب الزوج أهل زوجته ولا يذكرهم بسوء وكذلك الزوجة لا تغتاب أهل زوجها ولا تذكرهم بسوء أبداً.

وكل منهما يقدر مشاعر الآخر تجاه أهله ولهذا الموضوع أهمية في استمرار الحياة الزوجية يجب على كل منهما إتقان ذلك والحفاظ عليه.

والتنبيه أن لا يقع كل منهما في مثل هذه الأخطاء الجسيمة التي تهز الحياة الزوجية وربما تمزقها وتشتتها وتفرقها وتوصلها إلى الجحيم.

ـ إن ما يظهر عادة من بغض الزوجة لأهل زوجها، خاصة أم الزوج هو المدمر للحياة الزوجية والمبعد عن السعادة المرجوة.

إن إتقان الزوج في إيجاد صلة المحبة بين أمه وزوجته من أهم أسباب السعادة الزوجية وإن إتقان الزوجة تقدير واحترام أهل الزوج وخاصة أمه واعتبارها أماً ثانية لها هو من أهم السعادة الزوجية ورضى الزوج الكامل عن زوجته، وإن إتقان أم الزوج من إيجاد صلة المحبة مع زوجة ولدها لهو من أعظم الأسباب التي تؤدي إلى نجاح الزواج وسعادة الزوجين.

وإن الزوجة السعيدة في الزواج المبارك هي التي تحب أهل زوجها من والد ووالدة كحبها لأبيها وأمها، وبذلك يزداد حب زوجها لها.

وعلى الزوجة المؤمنة أن تساعد زوجها في بر والديه لأنهما الأصل الذي تربى في أحضانهما وترعرع بينهما، وهما أصله وحياته وحبه الأول فقدر ما تقترب الزوجة من رضاهما بقدر ما تنال سعادتها مع زوجها.

ـ ومن مظاهر هذا الاحترام والتقدير أن يحب الرجل الجلوس إلى زوجته والحديث معها، والسهر مع أسرته، وعدم الغياب الكثير عن البيت، إلا لشغله وعمله وقصد مجلس العلم والذكر وأهل الله والمربين والأصدقاء الصالحين.

والبعد عن السهر مع أصدقاء السوء وإضاعة الوقت معهم، وكذلك على الزوجة المؤمنة ألا تخرج من بيتها إلا بإذن زوجها، فهي تلزم بيتها ولا تكثر الخروج منه إلا لشيء ضروري، وبإذن زوجها وهذا امتثال لأمر ربها في قوله تعالى:

﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

أي الزمن بيوتكن، فلا تخرجن لغير حاجة شرعية، وفي التزامها في بيتها تكون آمنة على عرضها ونفسها ومالها ودينها وشرفها ورضاء ربها وزوجها، وبذلك تكون المثل الأعلى للصيانة والعفة، فيتاح لها القيام بواجبها البيتي والزوجي والديني على أكمل وجه، وأفضل صورة.

لا يشغلها عنه شاغل بل تجد فيه متسعاً من الوقت للعكوف على العبادة، وقراءة القرآن الكريم والسيرة وكل كتاب يقربها من ربها سبحانه، وتتمكن من القيام بما يصلح نفسها وزوجها وأولادها وتأمين طعامهم وراحتهم وسرورهم، فتحس بأن السعادة حفت بها من كل جانب.

ـ هذا ولا يجوز شرعاً خروج المرأة من بيتها دون إذن زوجها، فطاعة الزوج واجبة، وعند خروجها بإذن زوجها لضرورة فعليها أن تخرج في حجابها الكامل الساتر لجميع جسدها، غاضة بصرها، غير متزينة، ولا معطرة، بعيدة عن الأماكن المزدحمة بالناس، متأدبة آداب الشرع، متمسكة بسلوك دينها محافظة على شرفها وعرضها وكرامتها.

ـ ومن مظاهر هذا الاحترام والتقدير أن لا يكون الزوج شحيحاً بخيلاً على زوجته وأولاده، بل سخي النفس، كريم النفقة، لا يقصر في أداء واجباته تجاههم، وبالمقابل فإن الزوجة المؤمنة في الزواج المبارك تسعى ألا تنفق من مال زوجها إلا بإذنه وبما هو ضروري دون أن تضع على كاهله نفقة ليست من الضروريات حتى لا تكون مما وصفهم الله عز وجل بقوله:

﴿ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓاْ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الإسراء: ٢٧].

عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول في خطبة عام حجة الوداع:

«**لا تنفق امرأة شيئاً من بيت زوجها إلا بإذن زوجها**» قيل: يا رسول الله ولا الطعام؟ قال: «**ذاك أفضل أموالنا**».

[أخرجه أحمد والترمذي وابن ماجه وغيرهم].

وعن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ:

«**لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها**».

[أخرجه أحمد وأبو داود والنسائي وغيرهم].

ـ ومن مظاهر هذا الاحترام والتقدير أن تتحلى الزوجة بالقناعة والرضا بما قسم الله لها من الخير فلا تتطلع إلى ما عند غيرها من الأموال والأشياء بل عليها الرضى بما قسم الله لها لتكون أسعد الناس في حياتها الزوجية وفي هذا قول الله عز وجل:

﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾ [طه: ١٣١].

ولتحقق الزوجة الرضى الكامل عليها أن تنظر إلى من هي أقل منها عيشاً

وأضيق رزقاً حتى تغمرها نعمة شكر النعمة، فقد روى أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم فهو أجدر ألا تزدروا نعمة الله عليكم». [متفق عليه].

كذلك عليك أيتها الزوجة المؤمنة أن تقدري إمكانية زوجك المالية فلا تطالبيه بأمر لا يستطيع شراءه بل لا تشعريه بهذا النقص، وعليك أن تقتصدي في ماله ولا تهدريه بغير حق، ولا ترهقيه بطلبات غير ضرورية، لأن ذلك يحرجه ويزعجه ويؤلمه مما يكدر عليك سعادتك الزوجية.

وعليك أيتها الزوجة المؤمنة أن تتأسي بحال زوجات النبي ﷺ فها هي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها تقول لعروة بن الزبير ابن أختها (يا بن أختي، إنا كنا ننظر إلى الهلال - أي الشهر - ثم الهلال ثم الهلال، وما أوقدت في بيوت رسول الله ناراً؟ فقال: يا خالة! وما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح (شياه) فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا). [متفق عليه].

فينبغي على الزوجة المؤمنة في الزواج المبارك أن تصبر على ما هي فيه من ضيق العيش مع زوجها، فإنها بالصبر تملك وتجلب حب زوجها لها وتمسكه بها، واحترامه وتقديره لها، والسعي لإسعادها وأولادها.

كذلك على الزوجة المؤمنة ألا تتأثر بالآخرين، فكثير من الأقارب والمعارف يحسدونها من زواجها المبارك فتراهم يسعون إلى الشقاق بينها وبين زوجها وزج أنفسهم في مواضع كثيرة يفسدون الزوجة على زوجها، فيجب على الزوجة الانتباه لمثل هذه الأمور، وأن تضيع عليهم الفرص ولا تستمع إليهم.

وتعالوا للنظر كم تؤثر آراء الأخريات على الزوجة المؤمنة وكيف تنغص عليها حياتها.

- كان أبو مسلم الخولاني التابعي الصالح المعروف باستجابة دعوته إذا انصرف من المسجد إلى منزله كبّر على باب منزله، فتكبر امرأته، فإذا كان في صحن داره كبر فتجيبه امرأته، فإذا بلغ إلى باب بيته كبر فتجيبه امرأته، فانصرف ذات ليلة فكبر عند

باب الدار فلم يجبه أحد، فلما كان في الصحن كبر فلم يجبه أحد، فلما كان في باب بيته كبر فلم يجبه أحد وكان - أي في السابق - إذا دخل بيته أخذت امرأته رداءه ونعليه، ثم أتته بطعام، قال فدخل فإذا البيت ليس فيه سراج وإذا امرأته جالسة منكسة تنكت بعود معها، فقال لها: ما لك، قالت: أنت لك منزلة من معاوية، وليس لنا خادم فأخدمنا - أي اجعل لنا خادماً - واطلب منه يعطيك، فعلم أن أحداً قد أفسد عليه زوجته - بعد أن كانت في هذا الاستقبال - فقال أبو مسلم شاكياً إلى الله: اللهم من أفسد علي امرأتي فأعم بصره، قال: وقد جاءتها امرأة قبل ذلك فقالت لها: زوجك له منزلة من معاوية فلو قلت له يسأل معاوية أن يخدمه ويعطيه عشتم.

قال: فبينما تلك المرأة جالسة في بيتها، إذ أنكرت بصرها، فقالت: ما لسراجكم طفيء، قالوا: لا، فعرفت ذنبها فأقبلت إلى أبي مسلم وقد كان يعرف باستجابة دعوته رضي الله عنه تبكي وتسأله أن يدعو الله عز وجل لها أن يرد عليها بصرها، قال: فرضي أبو مسلم فدعا الله عز وجل فرد عليها بصرها، فإياك إياك أيتها الزوجة المؤمنة أن تتأثري بكلام الأخريات الحاسدات الحاقدات المنافقات اللواتي يرغبن في خراب البيوت إياك والاستماع لهن حتى تظلي في ظل زوجك وفي سعادتكما.

ومن أهم مظاهر الاحترام والتقدير أيضاً معرفة كل منهما ماذا يحب الآخر وعلى الزوج خاصة أن يعرف أن المرأة لديها حساسية شديدة لكلام غيرها عنها، خاصة إذا كان المتحدث زوجها، وهي تأسى كثيراً حينما تشعر بأنها ليست موضع اهتمامه، لذلك وجب على الزوج أن يشعر زوجته دائماً بأنها موضع اهتمامه بها، وعلى الزوج أيضاً أن يعلم أن لديها حساسية مفرطة للنقد، فيجب عليه أن يراعي ذلك ولا يجرح كرامتها هذه بأي كلام يسيء إليها، فالزوجة كذلك لديها فيضان عاطفي، ويسعدها الحديث عن نفسها وعن مشاعرها، فوجب على الزوج أن يسمع لها ويظهر اهتمامه بها ويعزز حديثها ويشعرها بقناعته التامة بما تتحدث عن نفسها.

ومن العجب العجاب أن بعض الأزواج يروق له مضايقة زوجته والتسفيه الدائم لحديثها ومحاولة إسكاتها وعدم الاستماع إليها مع الاستهزاء والسخرية منها، هذا الزوج ليس من ذوي الطبائع الإيجابية والنفسية الصحيحة السوية

وإنما يعد مريضاً في نفسه، معتزاً بها، لا يملك الحكمة في التعامل مع الآخرين وخاصة مع زوجته، فلن ينال السعادة الزوجية وسوف يعيش في شجار دائم، ومنزل مضطرب، وحياة تعيسة.

وفي الصحيحين نجد حديث أبي زرع والذي تحكي فيه السيدة عائشة رضي الله عنها لرسول الله ﷺ قصة إحدى عشرة امرأة تعاقدن وتعاهدن ألا يكتمن شيئاً عن أزواجهن، وسرد هذه القصة يحتاج إلى وقت طويل ومع ذلك فالنبي ﷺ استمع إليها، وأنصت وأبدى اهتماماً بكلامها وفي نهاية الكلام علق على ما سردته بقوله لها: «**كنت لك كأبي زرع لأم زرع**» وذلك مداعبة لأم المؤمنين رضي الله عنها وكان وصفها لأبي زرع مع زوجته أم زرع من أفضل الأوصاف، وكان أبرهم لزوجته، وأصدقهم حباً.

ويجب على الزوج أن يلتمس العذر إن أثقلت عليه الكلام، ولكن ليحذر من الغيبة أو النيل من أعراض الناس، فلا يسمح لها بذلك، لأنه محظور، ومن يرتكبه أو يستمع إليه يرتكب إثماً عظيماً.

كذلك على الزوجة الواعية والمؤمنة الصادقة في الزواج المبارك أن تدرك كثيراً ما يحب زوجها وتستمع إليه عند كلامه مع إظهارها السرور منه والتعليق على كلامه بما يسره، ويزيل همه وغمه، فلقد كان رسول الله ﷺ عندما تزوج من خديجة يدخل إليها ومعه هموم الحياة ثم بعد البعثة هموم الدعوة والتبليغ مع إعراض قومه ورده شر رد وكانت السيدة خديجة رضي الله عنها خير معين له تستمع إليه ثم تواسيه وتكلمه بأفضل العبارات التي تنسيه تلك الهموم والآلام والمتاعب.

حين نزول الوحي على سيدنا محمد ﷺ أسرع إلى بيت زوجته خديجة فقال: «**زملوني زملوني**» ثم قال: أي خديجة مالي؟ وأخبرها الخبر: ثم قال لقد خشيت على نفسي قالت له خديجة: كلا أبشر، فو الله لا يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق. [متفق عليه].

ويجب على الزوجة المؤمنة الصالحة في الزواج المبارك أن تدرك ذلك وأن تعلم أن بمواساتها هذه لها مكانة كبيرة عند زوجها وثواب عظيم عند ربها فلقد استحقت السيدة خديجة الجنة بمواساتها رسول الله ﷺ والتخفيف عن كاهله، قال ﷺ:

«أمرت أن أبشر خديجة ببيت من قصب ـ اللؤلؤ ـ لا صخب فيه ولا نصب» .

[متفق عليه] .

وحفظ لها النبي ﷺ صنيعها، وكان وفياً لها طيلة حياته، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: ما غرت على امرأة قط ما غرت على خديجة من كثرة ذكر النبي ﷺ لها، ولقد ذكرها يوماً فقلت: ما تصنع بعجوز حمراء الشدقين؟ أبدلك الله خيراً منها، فقال ﷺ:

«والله ما أبدلني الله خيراً منها، آمنت بي حين كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إن حرمني الناس، ورزقني منها الله الولد دون غيرها من النساء» . [أخرجه أحمد والطبراني] .

ومن أهم مظاهر احترام الزوجة لزوجها ألا تقع في الجهل الذي عم وطم كثيراً من النساء، إن الواحدة منهن تفتخر بأن زوجها طوع أمرها، وهو يفعل ما تحب، ولا ينفذ شيئاً إلا بأمرها.

هذه الزوجة الحمقاء الجاهلة، ولو أن الأمر هكذا فعلاً كان من الواجب عليها أن تستحي من هذا الأمر، ولا تكلم أحداً به، لأنه عيب كبير، ونقص عظيم، وليس شيئاً يستحق الفخر والمباهاة، فالرجل الذي على هذه الشاكلة هو رجل غير طبيعي، ضعيف الشخصية، وليس من الفخر أن تعتز بذلك.

ـ إن الفطرة السليمة لدى الزوجة تقضي أن تكون تحت قيادة الزوج، وأن تفتخر بالانتساب إليه، وأن ترضى بحكمه، لا من باب التسلط وإنما من باب الطاعة التي يقرها الشرع ويأمر بها الدين.

ومن أهم واجبات التقدير والاحترام بين الزوجين عدم الاختلاف فيما بينهما أمام الأبناء، وعدم علو صوت أحدهما على الآخر أمامهم.

ولئن كانت الاختلافات في الحياة الزوجية أمراً طبيعياً، وهي من طبيعة الحياة، لكن أن تصبح هذه الخلافات متكررة أمام الأبناء، ولا يراعى فيها حدود أدب التعامل بين الزوجين هذا كله يؤثر سلبياً على الصحة النفسية للأطفال الذي يؤدي عندهم إلى القلق والتوتر وعدم أداء واجباتهم المدرسية بشكل صحيح مما يؤدي إلى تأخرهم الدراسي وربما إلى إخفاقهم في التعليم .

ومن مظاهر الاحترام والتقدير بين الزوجين:

أن تقدر الزوجة تعب زوجها في النهار فتسعى عند قدومه للمنزل أن تنسيه مشقة الحياة وأتعابها باستقبالها الحسن وابتسامتها المشرقة وكلماتها الرنانة ومنظرها الجذاب، وطعامها الشهي، وسهرتها الممتعة.

كذلك فإن الزوج المؤمن هو الزوج الرحيم بزوجته، الذي يقدر المسؤولية الملقاة على عاتقها مع تدبير المنزل وتربية الأولاد، ورعاية شؤونهم، ونحو ذلك، وهي مهمة شاقة لمن قامت بها حق القيام، وقد يعزي المرأة التعب والإرهاق في بعض الأحيان من كثرة واجباتها، وربما لضعف صحتها، أو إصابتها بالمرض، وقد تتحامل المرأة على نفسها وتقوم بمثل ما تقوم به في حال صحتها وقوتها، فعلى الزوج أن يدرك ذلك ويكون لديه رحمة ورفق بزوجته، فهي مسؤوليته، وهي من رعيته، وقد أوصانا الحبيب المصطفى ﷺ بها فقال:

«استوصوا بالنساء خيراً». [أخرجه البخاري وصححه].

وفي هذه الحالات ينبغي للزوج أن يطيعها، وألا يكلفها من الأمور ما هو شاق عليها، ولقد ضرب لنا النبي ﷺ أروع المثل في ذلك، فقد سئلت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها عن حال الرسول ﷺ مع زوجاته فقالت: (كان ﷺ في مهمة أهله، فإذا حضرت الصلاة خرج إلى الصلاة).

[أخرجه البخاري].

وعنها أيضاً: (أنه كان ﷺ يخيط ثوبه، ويخصف نعله). [أخرجه الترمذي].

فهل نستن بسنة النبي في مثل هذه المواقف، أم العادات والتقاليد تسوقنا إلى الابتعاد عن ديننا وأوامره.



الفصل السادس

الخلافات الزوجية منشؤها ومعالجتها

من المفروض في الزواج المبارك ألا يكون هناك خلافات بين الزوجين أبداً؛ لأن هذا الزواج قام على أكمل ما شرعه الله وسنه رسول الله ﷺ.

فقد تم الاختيار بينهما على ذلك من جهة، ومن جهة أخرى قام كل من الطرفين بالسؤال والاستشارة، وقد تم درس كل منهما الآخر في فترة الخطبة ووافقا على الزواج، ومن جهة ثالثة فإن كلاً من الطرفين قد عاهد نفسه على الالتزام بأداء حقوق الآخر كاملة وقيامه بأداء واجباته نحوه.

وأخيراً فإن كلا الزوجين على ثقة كاملة بأن الله عز وجل قد قسم لهما وقدر هذا الاختيار والزواج فوجب على كل منهما الرضى والرضوان والتيقن أن أي مشكلة بينهما لها حل مناسب يرضي الله ورسوله ويرضيان عنه، ويتيقن كل منهما أنه لا يمكن التفكير بأن حل المشاكل بينهما يكون بانفصال أحدهما عن الآخر بل الحل في ايجاد حلول لأي مشكلة تقع وذلك عن طريق العقل لا العاطفة، وعن طريق الحوار لا الشجار، وعن طريق الهدوء لا الغضب، وعن طريق الحكمة لا التسرع في أخذ القرارات الهوجائية، ومع كل ذلك فإن الآثار التربوية لأسرة كل منهما المختلفة ومع وجود العادات المتباينة بينهما قد توقع بعض الخلافات فيما بينهما من وراء عدم فهم كل منهما للآخر من جهة، وعدم الخبرة في تلقي تلك الخلافات بصدر رحب ومحاولة علاجها قبل أن تكبر وتتوسع وتتعمق، وهذا يجب ألا يكون بينهما أبداً، بل يجب أن يكون بمقدورهما حل كل الخلافات بينهما ودون اللجوء إلى الآخرين، أو سماع الآخرين بهذه الخلافات بينهما، لأن ذلك يوسع

ويعمق تلك الخلافات بينهما، والسؤال الآن كيف يستطيع الزوجان التفاهم بينهما وعدم حدوث الخلافات وإذا ما حدث شيء منهما كيف تعالج بأبسط الأساليب وأنجعها وأسرعها، ودون تدخل من الآخرين، أو درايتهم بذلك.

قال تعالى:

﴿ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ ۚ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴾ [هود: ٨٨].

وللإجابة على هذا الموضوع لابد من ذكر أهم الخلافات والمشاكل الزوجية التي غالباً ما تحصل، ثم دراسة أفضل الأساليب لمعالجتها بأقصر الطرق وأنجحها.

أولاً ـ اختلاف البيئة التربوية والعادات الاجتماعية والحياتية بين أسرتي الزوجين:

ـ يختار الزوج الصالح، زوجة صالحة، ويُبنى الزواج على قواعد سليمة، لكن المفاجأة للزوجين تبدأ بعد الزواج عندما يلاحظ كل منهما اختلافاً في نوعية التربية والعقلية والعادات والسلوك فيما بينهما.

اختلافاً في أسلوب الكلام والمعاملة، وأسلوب الحياة المنزلية، وطريقة العلاقة مع الأرحام والأصدقاء، وأسلوب الطعام والشراب والسهرات واللباس وغير ذلك، كل منهما من بيئة معينة، ولكل منهما عاداته وتقاليده وطريقة حياته.

ـ عند الخطبة كان التوجه نحو الدين والخلق، أو نحو الجمال والحسب والنسب والمال فقط، دون التعمق بأحوال كل من الأسرتين من الداخل من العادات والتقاليد والسلوك الاجتماعي، لأن ذلك من الصعب معرفته، وغالباً لا يظهر إلا بعد الزواج، وكلما كان هناك تقارب وتشابه بين الأسرتين في ذلك كانت المشاكل أقل أو معدومة، وكلما كانت الفروق في ذلك كانت الاختلافات أشد ومتعددة وكثيرة بقدر هذه الفروق بين الأسرتين، لذلك لتفادي مثل هذه المشاكل كان على كلا الأسرتين محاولة دراسة أحوال الأسرة الداخلية من حيث البيئة التربوية والعادات الاجتماعية والحياتية وبأساليب متعددة وأهمها:

التعمق في الأسئلة لجهات متعددة لها صلة مباشرة بهذه الأسرة، مع عدم التسرع في الاختيار والتأني الشديد. حتى يتم كشف كل ما يتعلق بهذه الأسرة وبهذه الزوجة بالذات عندئذ ينجم هذا الزواج المبارك.

- في الزواج المبارك يجب أن يعلم كل من الزوجين أن الخلافات الزوجية أمر لا مفر منه ولكن هذه الخلافات في هذا الزواج المبارك سرعان ما يوجد لها حل قبل أن تتعمق وقبل أن تستفحل وذلك عن طريق الحوار والمناقشة الهادئة، ومعرفة الحقوق والواجبات، ثم أخلاق المسامحة وعدم المعاتبة، وأخلاق الحلم دون الغضب، وأخلاق التنازل عن الحقوق في سبيل تعمير البيوت.

من واجب الزوجين في الزواج المبارك أن يحولا الخلاف بينهما إلى أداة بناء لا معول هدم، أداة بناء لأسس الحياة التي يعيشونها، فيتعرف كل على خلق صاحبه، وعلى طباعه وخصائصه، محاولاً الوصول إلى الانسجام معه والتوافق النفسي، وهذا يستدعي منهما أن يحصرا الخلاف في دائرة محدودة، وهذا بدوره يتطلب من كليهما أن يعملا على التنازل عن النظرة المثالية، التي لا مكان لها على أرض الواقع ويحاولا أن يتوافقا في العادات والأخلاق ويسعيا نحو الأفضل.

عندما يتم الاختيار ويتم الزواج وتظهر مثل هذه الاختلافات وجب على كل من الزوجين أن يكون على وعي كامل بأن هذه الاختلافات يجب أن تزول من بينهما، ويتفقا فيما بينهما على وجوب الاعتماد على أسلوب مشترك، يجمع بين أسلوبيهما يعتمد على الاعتدال والتوسط للوصول إلى الأقرب بين هذه العادات والتقاليد للدين والشرع، وتجاوز الخلافات فيما بينهما وخاصة البعيدة عن الدين والشرع.

على سبيل المثال أحد الزوجين قد ربي في أسرته على البخل والشح والآخر ربي على السخاء والإنفاق؟ هذه مشكلة تقع بين الزوجين، لأن فيها اختلافاً كبيراً، الحل يكمن في المصارحة والحوار فيما بينهما، وتبيان الخطأ في ذلك والاتفاق على ما يدعو إليه الإسلام لا إفراط ولا تفريط، ولا بخل ولا تبذير، وإنما اعتدال وتوازن.

والوعي بينهما أن يعرف كل منهما حالته الخاصة هذه ـ وأن ذلك البخل مرض يجب التخلص منه، ورثه أحدهما عن أسرته وهو صفة غير حسنة، فيجب معالجتها بهذا الحل في الاعتدال والتوازن الذي يتفق مع الإسلام ومنهجه.

مثال آخر زوج ربي في أسرته على كمال الصفات الإيمانية الحسنة فتراه يسارع في تطبيق نهج الإسلام في كل أمور حياته يحافظ على الصلوات جماعة، وعلى تطبيق جميع العبادات بشكل متكامل ويؤدي النوافل كقراءة القرآن وقيام الليل والتهجد.

فوجىء بزوجته ـ التي تحفظ القرآن، والتي تربت على الإسلام وربما في مدارس شرعية، أو على يد مربيات فاضلات ـ أنها لا تريد أن تضع حجاباً شرعياً بل تريد أن تبقى ضمن حجاب مزخرف ملون بألوان مختلفة، أو أنها لا ترغب بقيام الليل أو صلاة التهجد، والأنكى من ذلك أنها تعد ذلك تزمتاً وتشدداً وهي لا تحب هذا التشدد، هذا فعلاً مفاجأة للزوج وصدمة كبيرة له.

أو العكس من ذلك، زوجة انتقت زوجها الذي يرتاد المساجد ويحفظ القرآن وقد تربى على يد العلماء الأفاضل، وإذا بها تفاجأ بأنه لا يواظب على صلاته، وأنه مهمل لواجبات ربه، بل لا يريد أن تتمسك بشرعها كاملاً، ولا يحب منها أن تقوم الليل أو تتهجد، وترى من تصرفاته وكلامه وجلوسه على التلفاز ما لا يسر ولا يرضي الله عز وجل، ولا ترى منه التزاماً بشرع ولا أخلاق... هذه مشكلة كبيرة... كيف حلها!!.

كما قلت سابقاً كان يجب أن يكون البحث والتقصي والتدقيق أدق مما كان، أما وقد قدر الله هذا الزواج فلا بد من التفاهم وحل هذه المشكلة، ويكون ذلك بالحوار بين الطرفين، والطرفين فقط، دون تدخل الآخرين، حتى لا يزيد الطين بلة؟ إلا إن وجد في أحد الأسرتين عالم أو عاقل يستطيع الاشتراك في الحل السليم، والحل يكون بالحوار والمناقشة والوصول إلى سلوك وسط معتدل، دون تمسك أحد الطرفين برأيه، والحل الأوسط هو الإسلام، الذي هو دين الاستقامة والاعتدال ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴾، ويجب أن يبين كل منهما للآخر خطأه وذلك بالحكمة والموعظة الحسنة،

بقدر، عدم الاعتزاز بالنفس، وبقدر حسب الحقيقة والحق والوقوف عند ذلك بين الطرفين، بقدر حل كل مشكلة بينهما.

ـ لا يقبل من ظاهره التزام بالشريعة ثم تظهر حقيقته بعد الزواج على غير ذلك هذا تدليس وغرر فيجب تصحيح الخطأ بما يتناسب مع الشريعة الغراء والعودة إلى الاستقامة، والتمسك بالحق، والرجوع عن الباطل، والتفاهم بين الزوجين على ذلك ليكون الزواج مستقيماً دائماً مباركاً فيه، أما التمسك بالرأي الخاطىء والإصرار عليه من أحد الطرفين فلن يعود على الزواج بالخير، ولن يستمر هذا الزواج على هذه الشاكلة.

من أمثلة اختلاف البيئة بين الزوجين أن بيئة أحدهما محافظة والمقصود بالمحافظة على تطبيق الشرع كاملاً، وليس معنى المحافظة التزمت الشديد والمغالاة في الدين، هذه المحافظة عند أحد الطرفين إذا لم يكن الطرف الآخر على شاكلة الآخر فهناك تحدث المشاكل التي لا يحمد عقباها.

صاحب البيئة المحافظة التي تطبق الشرع في الذهاب والإياب، وفي الخروج والدخول، وفي التعامل مع الآخرين، والأخذ والعطاء معهم، وعدم الاختلاط غير الشرعي بهم، سيصاب الطرف الآخر بالإحباط الشديد وهو الذي اعتاد على الاختلاط والسلام والكلام والمزاح والضحك واللعب والغمز واللمز وغيرها من الحركات التي لا يقبلها الشرع.

المشكلة أننا جميعاً ندعي الإسلام والإيمان، ولكن ما هو الإسلام والإيمان الذي عرفناه وتعلمناه وطبقناه ومارسناه.

من الذي ربانا؟ من الذي هذبنا؟ من الذي زكانا؟ من؟؟.

وما حجم هذه المعرفة ومدى تطبيقها والالتزام بها؟.

كثير من الناس لا يعون من الإسلام والإيمان إلا الصلاة والصوم!!.

ويا للأسف أيضاً يلمون بها على أبسط ما يجب أن يطبقوه..

الإسلام والإيمان: عقيدة وعبادة ومعاملات وسلوك.

والمسلم والمؤمن: هو من طبق تلك التعاليم على أعلى مستوى.

المسلمة المؤمنة أي الشابة التي سوف تصبح زوجة، هل تعلم حدود الحجاب الشرعي وتطبقه كما يريد الشرع؟ أم تطبق ما تريده هي أو والداها اللذان لا يفهمان من الشرع إلا مايناسبهم، والشرع عندهم هو أهواؤهم وما تمليه عليهم أنفسهم الأمارة بالسوء.

هل تعرف حدود العورة مع الآخرين وتلتزم في لباسها تلك الحدود؟

وهل تعلم أن ما تلبسه لزوجها من الملابس الرقيقة والقصيرة والمظهرة للعورة لا يجوز لها لبس تلك الملابس حتى ولا أمام والدها ووالدتها وأخوتها وصديقاتها لا في عرس ولا في غير ذلك؟.

هل تعلم هذه الفتاة أن الاختلاط مع الآخرين له شروطه في اللباس والكلام وفي الجلوس والسلام؟.

من يحل لها مجالسته؟ ومن يحرم؟.

كيف تخاطب الآخرين من الأقرباء والأرحام والآخرين؟.

ماذا يجوز لها وما لا يجوز في ذلك؟.

هل تعلم ذلك؟ هل ربيت على ذلك؟ من رباها؟.

أم أنها تربت على عادات وتقاليد وحياة لا تمت إلى الإسلام في شيء إلا أنها تُسمى مسلمة، وما يخالف تصرفاتها فلا تستطيع التمسك بها وتعدها تزمتاً وتقوقعاً وعدم مجاراة للحياة.

كذلك قد يكون العكس فتاة ربيت في منزلها وعند المربيات الفاضلات على كامل الإسلام والإيمان في بيت يتمسك بتعاليم الإسلام والإيمان كاملاً، قد تفاجأ بشاب مؤمن لكنه لا يتمسك بتعاليم الدين، بل بعاداته وتقاليده الأسروية التي يعتد بها وبكمالها ولو خالفت الشرع والدين، يريد زوجته المؤمنة أن تخالط الآخرين وتتكلم معهم وتسهر مع من يحرم الاختلاط بهم من أهله وأصدقائه، ويعد ذلك تزمتاً ومغالاة في الدين.

نعم دينه البعيد عن الدين! هكذا تربى وهكذا يريد من الآخرين.

من هنا تنشأ مشكلة اختلاف البيئة والتربية.

ما هو الحل؟ الحل أن لا يتعرفا على بعضهما من أول الطريق لأن لكل منهما طريقاً لا يستطيع الآخر السير فيه.

وإذا تم الاختيار غير المدقق وغير الصحيح، وكشف الأمر بعد الزواج ماذا يفعلان؟!.

الصواب أن لا يصر أحدهما على رأيه، وخاصة صاحب الرأي البعيد عن الشرع، ويتحاورا ويتفقا على طريق سليم وأسلوب حياة جديدة، ترتبط بكامل الشرع والدين، وينسى المخطىء ماضيه ويتوب إلى الله منه ويبدأ حياة جديدة سعيدة، ترضي الله عز وجل ورسوله، والحياة الزوجية التي يجب أن تكون على قواعد سليمة، مبنية على قواعد الدين لا على قواعد العادات والتقاليد الفاسدة.

وإلا فلن يسعدا وسيتفرقان ويدمران البيت الذي بنياه وسيعم الشقاء والهم والغم والحزن لهما ولأسرتيهما.

مثال آخر في هذا الموضوع الاختلاف في الثقافة، وكنت قد تحدثت عن ضرورة التكافؤ وخاصة في موضوع الثقافة وألا يكون هناك فرق كبير، هذا الفرق الذي يظهر بعد الزواج فيختلفان من أجله ويهزأ كل منهما بالآخر أو يقلل من علمه وعقله وتصرفاته، هذا الفرق الذي ربما لا يستطيع أحدهما تحمل الآخر فيما يعترضهما في هذه الحياة من واجبات حياتية وتصرفات ومعاملات مختلفة.

والحل أن الله قدر هذا الزواج فيجب على كليهما تفهم الآخر، ومعاملته حسب مكانته والتنازل عن كثير من الآراء والأفكار وإيجاد حل وسط بينهما واعتدال في الطلبات والمتطلبات وعدم الاستهزاء بالآخر والتقليل من شأنه، وعدم الاعتزاز بالذات، والتفاخر في العلو، بل تواضع ومحبة وقبول وتفاهم ومسامحة، وحب وتحمل، كل ذلك يؤدي إلى السكينة والمودة والرحمة والتآلف والوئام والاستمرار والسعادة والهناء.

- كتب أحد علماء الاجتماع يقول:

«لقد دلتني التجربة على أن أفضل شعار يمكن أن يتخذه الأزواج لتفادي

الشقاق، هو أنه لا يوجد حريق يتعذر إطفاؤه عند بدء اشتعاله بفنجان من ماء، ذلك لأن أكثر الخلافات الزوجية التي تنتهي بالطلاق ترجع إلى أشياء تافهة تتطور تدريجياً حتى ينفد إصلاحها».

هذا ويجب أن نعلم أن المسؤولية في حل الخلافات وخلق السعادة البيتية تقع على الزوجين، وطريقة المعالجة فيما بينهما.

فكثيراً ما يهدم البيت لسان لاذع، أو طبع حاد يسرع إلى الخصام، وكثيراً ما يهدم أركان السعادة البيتية حب التسلط أو عدم الإخلاص من قبل أحد الزوجين، فكم من أمور صغيرة في المبنى عظيمة في المعنى.

لذلك فإن الزواج المبارك لا يقبل هذا بين الزوجين بل هما على درجة من الإيمان والأخلاق ما يسيطر على مثل هذه الترهات، فينتصر على هذه العادات ويعيد الأمور إلى نصابها، والحياة الصافية إلى مجاريها وكأن شيئاً لم يحدث.

ثانياً ـ العلاقات غير السليمة بين الأسرتين:

إن من المشاكل التي تؤدي إلى هدم الزواج، العلاقات غير السليمة بين أسرتي الزوج والزوجة، فكيف يكون الزواج سليماً ناجحاً، إذا كان هناك خلاف بين هاتين الأسرتين، هذا الخلاف الذي يمتد إلى الزوجين وبالتالي يؤدي إلى الخلافات بينهما، وعدم وجود الطمأنينة والسكينة في هذا الزواج، خلافات دائمة، ومشادات قائمة، وألسنة ملتهبة، وأخذ وعطاء، وشتم وإهانات، فكيف يدوم هذا الحال الذي غالباً ما يؤدي إلى الطلاق.

والسبب في ذلك هو الخلافات بين الأسرتين.

خلافات ناشئة أحياناً من اختيار الزوج لزوجته دون رغبة والديه، أو لأنه انتقى زوجته ولم تنتق أمه له الزوجة، أو أنها كانت تريد أن تزوجه من فتاة ترغب فيها أو غير ذلك من أسباب هذه الخلافات.

وقد تكون هذه الخلافات ناشئة بعد الخطبة بسبب اختلاف الآراء، أو بسبب الحب الشديد من الزوج لأهل زوجته مما أشعر أسرته بفقدانه،

مما سبب عدم رغبتهما بهذا الزواج فظهرت العلاقات غير السليمة بين الأسرتين.

أو بسبب المرض النفسي الذي يحدث عند أكثر الأمهات من وراء تزوج الابن وخوف الأم من فقدانه، أو غيرتها من تصرفات ابنها في معاملة زوجته، التي ربما لم يحصل لها عند زواجها من والده بمثل ما تراه من تصرفات تثير غيرتها ومرضها النفسي الذي ينعكس على الزواج بعلاقات غير سليمة.

وغالباً ما تسدي الحماة النصائح لابنها وزوجته، فيجب على الزوجين ألا يعدا ذلك تدخلاً في شؤونهما، بل يحاولا إظهار الاهتمام بهذه النصائح والعمل بها.

ولتكن الزوجة مدركة أن حماتها من جيل سابق ولها أفكارها ومعتقداتها الخاصة، ونظرتها للحياة، والتي قد تختلف كثيراً عن نظرة الجيل الحاضر والذي منه الزوجة بالطبع، فلتقدر الزوجة هذا الأمر، وهو ما يسميه علماء النفس (صراع الأجيال) وحين تفهم الزوجة هذا الأمر سوف تعذر حماتها، وتقدر ظروفها.

كما أن الحماة غالباً امرأة في سن اليأس، ولهذا السن حكمه وظروفه الخاصة ويصحبه غالباً توتر في الأعصاب، وضيق في الأخلاق، وليس كل الحموات كما تصور أجهزة الإعلام بتلك الدرجة من السوء، فالكثير منهن لسن من أصحاب المشاكل، ويؤثرن السلامة، ويردن العيش وراحة النفس وراحة البال، وعلى الزوجة العاقلة ألا تتحدث عن أمها دائماً أمام حماتها، فتقول (ماما) تفعل كذا وكذا، فلكل امرأة صفاتها، وخصائصها، ولا تحب امرأة أن تشبه بأخرى.

الزوجة المؤمنة هي التي تحترم حماتها، وتعدها بمنزلة أمها وبذلك تكسب ودها وود زوجها، وتعيش مع زوجها في راحة نفسية وتنال بذلك رضى زوجها وربها.

العلاقة السليمة بين الأسرتين هي علاقة حب وثقة ومتبادلة واحترام، أم الزوج أم ثانية للزوجة، وأبو الزوج هو أب وعم للزوجة.

كذلك أم الزوجة هي أم ثانية للزوج، وأبو الزوجة هو أب ثان للزوج.

كل من الأسرتين يعزز الثقة والمحبة بالأسرة الثانية، الزوجة تحسن التصرف مع والدي الزوج، بل تقدم كل حب وتقدير لهما، وتشجع زوجها وتعينه على برهما.

والزوج كذلك دائماً يتحدث عن والدي الزوجة بكل حب وتقدير ويسعى إليهما كما يسعى إلى والديه، ويشجع زوجته ويعينها على برهما.

هذه هي العلاقة السليمة بين الأسرتين، ليس فيها حقد ولا حسد ولا بغض ولا نفور ولا غيبة ولا نميمة.

النقاء الدائم القائم على الحب والتقدير والعطف والحنان لا يُعرف عندهم ما يسمى (بالحموات الأفاعي) وما يدرج على ألسنة الناس، الذين يسعون في الأرض فساداً، وبمساعدة الشياطين على تمزيق الأسرة الجديدة، وبث الشقاق بين الأسرتين والحيلولة دون التفاهم والوئام، إنهم شياطين الإنس والجن.

أما الأسرة التي لا تسير على هذا النهج، وتسعى دائماً لبث الخلافات بين الزوجين وإظهار مفاسد الأسرة الأخرى، والبحث عن الثغرات وتكبيرها، وتوسيع الشقاق وعدم اللجوء إلى الوفاق، فإن ذلك إيضاً هو من عمل الشيطان الذي لايحب أن تقام أسرة على نهج الإسلام فيسعى بينهما بالفساد والإفساد والشقاق والنفاق والفراق.

وإذا ما وجد خلل في أحد أسرتي الزواج فإنه لا يلم الشمل ولا يصلح الزواج إلا كبر عقل الأسرة المثالية التي تسعى لتهدئة الأوضاع وتحسين الجو، والتزام الصبر والتجمل بالحلم والتحمل، وتفهم الأمور، والعمل على إصلاح ما فسد وتحمل الأخطاء من الطرف الآخر، وتشجيع الزوجين على التفاهم والتسامح والصبر والأناة، ومعالجة الأمور بحكمة وهدوء وروية وعقل واتزان وعدم التسرع في أي تصرف، فإن ذلك يساعد على استمرار الزواج والبعد عن الخلافات التي لا تحمد عقباها.

وما أعظم الزوج المتفهم لذلك، وما أعظم الزوجة المتفهمة لذلك وكل

منهما يعرف الحق والحقيقة ويعرف من هو الذي يسير عليه من أسرتيهما، من الحاقد ومن الحاسد، ومن هو صاحب العقل الضعيف والنفس الأمارة، ومن هو الذي لا يستطيع إلا أن يبث سمومه، ومن يريد عدم استقرار هذا الزواج.

إذا عرف كل من الطرفين الزوج والزوجة أين الخلل؟ ومن أي جهة وحاولا إزالته أو مواجهته بالحكمة، فإن في ذلك الخير الكثير للزوجين.

إن عدم الاكتراث بهذه الأخطاء، وعدك الانتباه لها والاهتمام بها ونسيانها، أو معالجة أمورها بالصبر والأناة والحب والتفاهم هو الكفيل بنجاح هذا الزواج، وجعله سكينة ومودة ومحبة كما يحب الله ورسوله وبما فيه سعادة الدارين للزوجين.

ثالثاً ـ الأخلاق السيئة عند أحد الطرفين أو كلاهما:

إن من أهم نجاح الزواج حسن الخلق بين الزوجين فهو الدعامة الأولى والأهم في استمرار الزواج وشعور الزوجين بالسعادة والهناء في حياتهما الزوجية، فحسن الخلق بين الزوجين ينتج عنه الثقة بينهما والمحبة والتسامح والصفح فكل منهما صادق مع الآخر وصريح معه فلا كذب ولا خداع ولا غش ولا استغلال بل تعاون وتبادل في المشاعر وجميع مكونات الحياة الزوجية.

وإلى مثل هذا يشير النبي ﷺ قائلاً:

«**أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم أخلاقاً، وخياركم خياركم لأهله**».

[أخرجه الترمذي وقال حسن صحيح].

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«**خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي**» [أخرجه ابن حبان في صحيحه].

وقد ورد في الخبر «**إن الله يبغض الجعظري الجواظ**» ـ أي الشديد على أهله والمتكبر في نفسه ـ.

[أخرجه أبو بكر بن لال في مكارم الأخلاق من حديث أبي هريرة رضي الله عنه].

هذا ومن أهم المشاكل التي لا تؤدي إلى خير وإلى عدم استمرار الزواج

المبارك أن يكون أحد الطرفين، الزوج أو الزوجة، ذا أخلاق سيئة، لا ينكشف إلا بعد الزواج.

ومن المعلوم أن النبي ﷺ تحدث عن الزوج الصالح بقوله: «إذا أتاكم من ترضون دينه وخلقه فزوجوه»، فقد أشار النبي إلى صفتين الدين والخلق، ومع أن الخلق من الدين ولكن النبي ﷺ فرق بينهما، وذلك معجزة للنبي ﷺ ظهرت في وقتنا الحاضر، فكأنه يشير إلى زماننا الذي يفترق فيه الخلق عن الدين فقد يكون على الزوج سمات التدين ومظاهره، ولكن أخلاقه سيئة أو العكس من ذلك الزوجة ذات الدين التي وجه إليها النبي ﷺ قد تكون على غير تربية أخلاقية إسلامية صحيحة، هي متحجبة تقرأ القرآن وتحفظه وتحضر دروس العلم والتربية، ولكنها تحمل أخلاقاً سيئة وتتصف بها تحملها من أسرتها، لا ينكشف ذلك إلا بعد الزواج.

وهذا الأمر كثر في هذه الأيام، وهو من الأسباب التي تنشأ منهاالخلافات الكثيرة ليس فقط بين الزوجين، ولكن على جميع المستويات من الشراكة أو الشراء أو البيع أو المعاملات الأخرى، التي فيها غرر وغش، لأن في الظاهر دين وفي الباطن بعد عن الدين بسبب الأخلاق الفاسدة.

ماذا تفعل زوجة صالحة إذا علمت بعد زواجها أن زوجها كذاب لا يصدق، منافق لا يتقي الله، لسانه سليط بالبذاءة والشتم والسب واللعن.

كان يُظهر عند الخطبة الوداعة والهدوء والابتسامة وحسن الأخلاق وإذا به ينكشف بعد الزواج وكأنه ذئب مفترس، غضوب حسود، حقود غشاش، ذو أخلاق سيئة.

أو ماذا يفعل الزوج الصالح إن وجد مثل ذلك عند زوجته؟.

ماذا تفعل الزوجة الصالحة إن وجدت زوجها بخيلاً لا يحب أن ينفق عليها أو على أولادها إلا اليسير من الطعام أو الشراب أو اللباس، ويبخل عليها بأضر الضرورات لهذه الحياة، بعد أن كانت تعيش في أسرتها على اليسر والتيسير، وعلى البذل والعطاء والسعة.

هذا الزوج يجب أن يقرأ ويحفظ ويطبق ويردد دائماً قوله تعالى:

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ ٱلْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴾ [الإسراء: ٢٩].

وقوله سبحانه:

﴿ لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ ۖ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ۚ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا ۚ سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٧].

وليكرر دائماً قول النبي ﷺ: «لا يدخل الجنة بخيل».

[أخرجه أحمد والترمذي عن أبي بكر رضي الله عنه].

وقوله ﷺ: «لا يجتمع شح وإيمان في قلب رجل مسلم أبداً».

[أخرجه أحمد والنسائي عن أبي هريرة].

وليذكر أن إنفاقه على زوجته وأولاده هو عبادة دينية لأن النبي ﷺ يقول: «أفضل الدنانير دينار ينفقه الرجل على عياله».

[أخرجه مسلم وأحمد وغيرهما].

وقوله ﷺ: «إن المسلم إذا أنفق على أهله نفقة وهو يحتسبها كانت له صدقة». [أخرجه مسلم].

ومعنى يحتسبها يعني يحتسب الأجر والثواب عند الله تعالى في سعيه على العيال وتحصيل الرزق.

ماذا يفعل الزوج الصالح إن وجد زوجته تحب الافتخار والتبرج والظهور والتبذير والإسراف وعدم الاهتمام بالمنزل والأولاد وهمها نفسها، وتلبية طلباتها التي لا تنتهي مع سرعة غضبها ولؤم طبعها، وأنانيتها، وحب ذاتها.

مع عدم معرفتها بواجباتها المنزلية وأعماله المختلفة، منزلها غير مرتب، طعامها غير مستساغ، شرابها علقم، أولادها في حالة الفوضى والقذارة والبكاء والمرض.

ومع كل ذلك لا تهتم إلا بنفسها وطلباتها.

ماذا يستفيد الزوج من صلاتها وعبادتها وقيامها للصلاة ليلاً وحفظها للقرآن وحضورها دروس العلم إذا كانت على تلك الشاكلة.

وماذا تفعل الزوجة إن وجدت زوجها المدعي للدين له سهرات متعددة،

ولمنتصف الليل ومع أصدقاء فاسدين، ولا يعود إلا متأخراً ليلاً، يريد تحقيق مطالبه من طعام وشراب ولذة وسمر مع زوجة صالحة تعمل نهاراً في تأمين حاجاتها وحاجات زوجها وأولادهم من طعام وشراب ولباس و. . . و. . . إلخ.

ـ ماذا يفعل الطرفان في مثل هذه الحالات الشاذة والأخلاق الفاسدة:

لا بد من الحل، ويجب ألا يكون الحل سريعاً بالانفصال أو الطلاق، لا بد من جلسة مصارحة، من جلسة حوار حول الوضع القائم حول هذه الأخطاء، لا بد من رجوع كل منهما إلى الحق والوقوف عنده، لا بد للمخطىء أن يعترف بخطئه، ويحاول البعد عنه، والرجوع إلى طريق الصواب، الطريق الذي يرضي الله عز وجل ورسوله عنه، إلى طريق الدين، إلى الطريق المستقيم، إلى طريق الاعتدال والوقوف عند الأخلاق الإسلامية، وتغيير الطباع السيئة إلى أخلاق حسنة.

هذا إذا أرادا الخير لزواجهما، وخاصة إذا كان هناك أولاد بينهما، أما إذا أراد الخراب واتباع سبل الشيطان من الإنس والجن، فالدمار لهذا الزواج أو عدم الاستقرار فيه مع عدم الطمأنينة والسكينة والحب والود بينهما، وأي حياة أصعب من ذلك وقد خالفا المراد من الزواج في قوله تعالى:

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ [الروم: ٢١].

ومن الحلول الصحيحة لمثل هذه المشاكل الرجوع إلى أصحاب العلم الرشيد والعقل السديد، من الأهل والعلماء للمشاركة في تصويب الخطأ وتثبيت الصحيح، ليسير مركب الزوجين في بحر الأمان والاطمئنان، ولا بد من تصحيح الخطأ والرجوع إلى الحق وعدم التمادي في الباطل الذي يخرب البيوت ولا يعمرها، ويفقد الثقة ولا ينميها.

وكمثال على إشراك أهل الرأي في حل المشاكل بين الزوجين ما جرى بين النبي ﷺ وبين عائشة رضي الله عنها، حتى دخل أبو بكر حكماً بينه عليه الصلاة والسلام وبينها فقال لها رسول الله ﷺ: تكلمي أو أتكلم؟ فقالت: تكلم ولا تقل إلا حقاً؟ فلطمها أبو بكر حتى أدمى فاها، وقال: أو يقول غير الحق يا عدوة نفسها؟ فاستجارت برسول الله ﷺ وقعدت خلف ظهره فقال

النبي ﷺ: «إنا لم ندعك لهذا ولم نرد منك هذا». [أخرجه البخاري].

هذا وإن الزوج المؤمن العاقل هو الذي يملك نفسه عند غضب زوجته ولا يعاملها بالمثل ويصبر عليها حتى تعود إلى رشدها، هناك سيجد أن زوجته سوف تخجل من نفسها وتعتذر إلى زوجها.

عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ:

«إني لأعلم إذا كنت عني راضية، وإذا كنت علي غضبى»، فقلت: ومن أين تعرف ذلك فقال: «إذا كنت عني راضية فإنك تقولين: لا ورب محمد، وإذا كنت عليّ غضبى قلت لا ورب إبراهيم»، قالت: أجل يا رسول الله والله ما أهجر إلا اسمك. [متفق عليه].

وقالت السيدة عائشة رضي الله عنها مرة وقد غضبت: أنت الذي تزعم أنك نبي!.

فتبسم رسول الله ﷺ واحتمل ذلك حلماً وكرماً.

[أخرجه أبو يعلى في مسنده وأبو الشيخ في كتاب الأمثال].

ما أجمل الزواج المبارك القائم على الدين وحسن الخلق، فإذا ما بدر من أحد الزوجين خلق سيىء حاول الآخر معالجة الموقف بحسن أخلاقه.

الزوجة الصالحة تحفظ كلام نبيها المصطفى ﷺ عندما قال: «ألا أخبركم بنسائكم في الجنة»؟ قلنا بلى يا رسول الله قال: «ودود ولود، إذا غضبت أو أسيء إليها أو غضب زوجها، قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغمض حتى ترضى». أي لا ترى عيني النوم. [أخرجه الطبراني وغيره].

وهذا الزوج المؤمن في الزواج المبارك يقول لزوجته مرشداً لها طريق المعاملة الحسنة والطريق السليم، ما سمعه من الصحابي الجليل أبي الدرداء رضي الله عنه: إذا رأيتيني غضبت فرضني، وإذا رأيتك غضبى رضيتك، وإلا لم نصطحب.

الزوج العاقل والمؤمن الصادق على علم بأن زوجته امرأة من عائلة أخرى وهي تملك إيجابيات كثيرة وسلبيات أيضاً، وبما أنه قد تم الزواج بينه وبينها فإنه يحاول تعزيز الإيجابيات والبعد عن السلبيات، وهو بتعرفه على

سلبياتها يحاول أن يساعدها على التخلص منها، وهذا الأمر لا بد منه، فلن يجد زوج زوجة كاملة فالكمال لله وحده.

وكذلك يجب على الزوجة العاقلة المؤمنة الصالحة أن تعامل زوجها بالأسلوب نفسه، وأن يحاولا متعاونين تعزيز الإيجابيات في كليهما والبعد عن السلبيات حتى تزول هذه السلبيات من كليهما، وينبغي للزوجين الحرص على تجنب أسباب المشاحنة، وتلافي مبررات الخلاف فإنه ليس أقتل لصفاء الحياة الزوجية من المداومة على الشجار والتفنن في خلق أسباب الشقاق، حتى تصبح الحياة الزوجية جحيماً لا يطاق يؤدي إلى ما لا خير فيه.

رابعاً ـ الأوضاع المالية السيئة التي تعكر صفو الزواج المبارك:

عندما تم الاختيار وافق كل من الزوجين على الآخر على ما تبين لكل منهما من الأوضاع المختلفة وخاصة المادية القائمة في هذا الزواج، هذا حال الزوج وهذه حالته المادية، وقد رضيت الزوجة بذلك ما الذي حدث بعد ذلك، لماذا تطلب الزوجة من زوجها فوق طاقته؟ أين إيمانها وإسلامها؟ أين الرضى والرضوان؟ أين الحب والوئام؟.

أيتها الزوجة ليس المال كل شيء في الحياة، الصبر مع الرضا لحال زوجك هو كامل الإيمان، والرضا بالقسمة التي قسمها الله لك، يحدث بركة تسعد في الدنيا والآخرة، وعدم الرضا والتذمر لا يجعل علاقتك مع زوجك علاقة سليمة، بل علاقة توتر دائم، وخلاف قائم مستمر، وحياة لا ترضي أحداً.

هل عادت بكِ الذاكرة إلى ما كانت عليه زوجات النبي ﷺ وكيف تحملن الكثير.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها لعروة بن الزبير ابن أختها: «يا بن أختي، إنا كنا ننظر إلى الهلال ـ أي الشهر ـ ثم الهلال ثم الهلال، وما أوقدت في بيوت رسول الله ناراً! فقال:

يا خالة: وما كان عيشكم؟ قالت: الأسودان: التمر والماء، إلا أنه قد كان لرسول الله ﷺ جيران من الأنصار، وكانت لهم منائح (شياه) فكانوا يرسلون إلى رسول الله ﷺ من ألبانها فيسقينا. [أخرجه البخاري].

وهل عادت بكِ الذاكرة إلى الصحابيات الكرام وكيف صبرن على قلة العيش:

إذن اسمعي ما تقول الصحابية الجليلة أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنها ذات النطاقين: تزوجني الزبير وماله في الأرض من مال ولا مملوك ولا شيء غير ناضح ـ جمل يسقي عليه الماء ـ وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء، وأعجن، ولم أكن أحسن الخبز، وكان يخبز جارات لي من الأنصار، وكن نسوة صدق، وكنت أنقل النوى من أرض الزبير ـ التي أقطعه رسول الله ﷺ ـ على رأسي، وهي مني على ثلثي فرسخ، فجئت يوماً والنوى على رأسي فلقيت رسول الله ﷺ، ومعه نفر من الأنصار، ودعاني ثم قال: (إخ إخ) وهي كلمة تقال للبعير ليبرك ـ ليحملني خلفه، تقول أسماء رضي الله عنها: فاستحييت أن أسير مع الرجال، وذكرت الزبير وغيرته وكان أغير الناس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييت، فمضى فجئت الزبير فقلت: لقيني ﷺ وعلى رأسي النوى ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييت منه، وعرفت غيرتك، فقال: والله لحملك النوى كان أشد علي من ركوبك معه.

ثم تقول السيدة أسماء رضي الله عنها حتى أرسل إلي أبو بكر بعد ذلك بخادم يكفيني سياسة الفرس فكأنما أعتقني". [أخرجه البخاري].

هل تفكر الزوجة الصالحة بمثل هذه الأمثلة الواقعية لهؤلاء المؤمنات الصالحات ذوات المكانة العالية والمنزلة الرفيعة عند الله ورسوله والمؤمنين، وما هم عليه من حال مع أزواجهن، ليكون ذلك من دواعي صبر الزوجة الصالحة على ما تعانيه مع زوجها المؤمن، فيكون ذلك سبباً لسعادتها في الدنيا والآخرة.

وفي هذا الموضوع فهناك مشكلة أخرى تعترض الزواج وهي أن الزوجة ربما تزوجت من زوج له أوضاع مالية حسنة ولكن الأيام غيرت وضعه ضمن أحوال تغير الاقتصاد فهل تكونين معه على ما أصابه أم تكونين عليه؟.

هل تتأقلمين مع التغيرات أم تطالبين بما ليس بالإمكان فعله؟.

الزوجة المؤمنة، الوفية العاقلة، هي التي ترضى بإمكانات زوجها وبما قسمه الله له ولها، سواء في الرخاء أو في الشدة، فلا تسخط على زوجها عند ضيق الحال ولا تتبرم، ولا تسرف أو تبذر عند سعة العيش، ووفرة المال، متمسكة بحديث النبي ﷺ: «ما عال من اقتصد».

[أخرجه أحمد عن ابن مسعود رضي الله عنه].

والزوجة الصالحة تستطيع أن توازن بين حاجاتها وبين قدرات الزوج المالية الفعلية فلا تكلفه من أمره عسراً، ولا تتطلع إلى مغريات الأشياء، وما يقتنيه الآخرون، ولا تكلف زوجها مشقة اقتناء ما لا يملكون والحصول على ما لا يملكون.

الزوجة المؤمنة تتفهم أن الحياة دار امتحان وهي تحتاج إلى الصبر والتحمل، وفيها الكد والتعب، وأن هذه الحياة هي طريقنا إلى الحياة الآخرة إلى دار البقاء.

لذلك فهي عند الافتقار والحاجة والعوز والقلة والنقصان لا تنظر إلى من هو فوقها وإنما تنظر إلى من هو دونها كما أرشد النبي ﷺ:

«انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم؛ فهو أجدر أن لا تَزْدروا نعمة الله عليكم». [متفق عليه].

فالمؤمنة الصادقة تقارن الواقع الذي تعيشه بالناس الذين هم دونها وليس بمن هم فوقها.

واعلمي أيتها الزوجة الصالحة أن رضاك بما قسمه الله لك هو سعادة للدارين، ولا تهتمي بمظاهر الناس، فلكل منهم همومه ومشاكله، ولكنه يدفنها بوجه طليق، وابتسامة جاذبة، وملابس براقة مغرية، ولكن الهم قاتلهم، وأنت بالرضا تعيشين السعادة والسرور.

إن البيت المسلم يجب أن يغشاه الرضا والقناعة، ورضا الزوجة بالقليل عند ضيق العيش، وقلة الرزق من تمام شكر الله تبارك وتعالى، والزوجة الصالحة هي التي تحسن التصرف والعمل والاقتصاد والتدبير عند ضيق الرزق، وقد وصى النبي ﷺ أبا ذر فقال له:

«يا أبا ذر لا عقل كالتدبير».

والزوجة الصالحة لا تتبرم عند قلة الرزق وضيق الحال بل تصبر وترضى بقضاء الله، وتقنع بما قسمه الله لهما.

وفي حديث عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال:

«قد أفلح من أسلم وكان رزقه كفافاً وقنعه الله».

[أخرجه مسلم والترمذي وابن ماجه].

وهناك من النساء من أنعم الله تعالى عليهن بأزواج أغنياء كرماء، يعشن معهم في رفاهية ورضاء، رغم ذلك لا تكف إحداهن عن الشكوى من ضيق العيش وحرمانها من متع الحياة، وتتبرم وتضيق وتنكر النعمة، ولا تشكر زوجها وفي الحديث:

«لا ينظر الله تبارك وتعالى إلى امرأة لا تشكر لزوجها وهي لا تستغني عنه». [أخرجه البزار والحاكم].

وما أنعم الله على زوجين مؤمنين بمثل الصبر والقناعة والرضا والشكر على ما قسمه الله لهما.

فسر سعادتها رضا ربها والرضا عن أوضاعهما، فهما يعيشان على أجمل وأعظم وأيسر حياة زوجية مؤمنة.

وفي هذا الموضوع يمكن أن يدرج موضوع غنى الزوجة بمالها الخاص الذي تملكه من وراء أسرتها، فقد تكون أغنى من زوجها وقد يفتقر زوجها بحيث يحتاج إلى مساعدة مالية لمصروف عياله والشرع يبيح إعطاء زوجها من زكاتها، هنا يقول الشرع للزوجة إن أفضل ما تتصدقين أن تتصدقي عن زوجك المحتاج ولو كان ما يأخذه منك يطعمك به أو يسد به حاجة لنفسه أو لأولاده.

وعن زينب امرأة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قالت: قال رسول الله ﷺ: «تصدقن يا معشر النساء ولو من حليكن»، قالت: فرجعت إلى عبد الله فقلت: إنك رجل خفيف ذات اليد وإن رسول الله ﷺ قد أمرنا بالصدقة فأته فاسأله فإن كان ذلك يجزي عني وإلا صرفتها إلى غيركم، قالت: فقال لي عبد الله: بل ائتيه أنت، قالت: فانطلقت فإذا امرأة من الأنصار بباب رسول الله ﷺ حاجتي حاجتها قالت: وكان رسول الله ﷺ قد ألقيت عليه المهابة قالت: فخرج علينا بلال فقلنا له ائت رسول الله ﷺ فأخبره أن امرأتين بالباب تسألانك أتجزىء الصدقة عنهما على أزواجهما وعلى أيتام في حجورهما ولا تخبره من نحن قالت: فدخل بلال على رسول الله ﷺ فسأله فقال له رسول الله ﷺ: من هما: فقال: امرأة من الأنصار وزينب، فقال رسول الله ﷺ: أي الزيانب قال: امرأة عبد الله فقال له رسول الله ﷺ: «لهما أجران أجر القرابة وأجر الصدقة».

[صحيح مسلم، باب الزكاة، حديث رقم (١٦٦٧)].

خامساً ـ الروتين الممل الذي يعيشه كلا الزوجين:

إن الزوج يخرج من منزله إلى عمله ويعود مساءً وهو وإن كان يعيش في نهاره في أخذ ورد مع الآخرين فإن ذلك لا يشكل عنده تغيراً في لون حياته، فإذا عاد إلى منزله وتعود على برنامج واحد في حياته المنزلية فإنه يصاب بعد مدة بملل من وراء هذا الروتين المحدد في حياته.

كذلك الزوجة التي تستيقظ على أداء واجبات يومية معينة لا تنتهي منها حتى المساء، فإذا ما جاء زوجها عاشت معه في روتين واحد لا يتغير فإن ذلك أيضاً يجعل عند المرأة مللاً من هذه الحياة التي لا تتغير.

لذلك وحتى ينجح الزواج ويستمر بالسعادة والهناء يجب أن يكون عند الزوجين حياة متجددة وبرنامج متغير ومنوع باستمرار.

ولقد كان ذلك التغير والتجديد ظاهراً عند النبي ﷺ مع أزواجه فكان ﷺ يساهم بين زوجاته في سفره وغزواته، ليأخذ إحداهن معه، فكان في هذا السفر تغير للروتين والحياة المملة والمقيدة، ولقد كانت إحداهن تنتظر هذا السفر بأشد لهفة وشوق.

حتى أن رسول الله ﷺ كان في سفره يتخذ أسلوباً متنوعاً في إذهاب الملل عنه وعن زوجاته.

قالت السيدة عائشة رضي الله عنها: كنت مع النبي ﷺ في سفر وأنا جارية لم أحمل اللحم ولم أبدن، فقال لأصحابه: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك»، فسابقته فسبقته على رجلي، فلما كان بعد ـ وفي رواية ـ فسكت عني حتى إذا حملت اللحم ـ سمنت ـ وبدنت خرجت معه في سفر، فقال لأصحابه: «تقدموا» فتقدموا، ثم قال: «تعالي أسابقك» ونسيت الذي كان، وقد حملت اللحم، فقلت أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟ فقال: «لتفعلن»، فسبقني فجعل يضحك وقال: «هذه بتلك».

[حديث صحيح أخرجه الحاكم وأبو داود والنسائي].

هلا سأل الزوج المسلم نفسه هل فعلت مثل هذا مع زوجتي ولو مرة في حياتي.

وتقول أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها: والله لقد رأيت النبي ﷺ على باب حجرتي والحبشة يلعبون بالحراب في المسجد ورسول الله ﷺ يسترني بردائه لأنظر إلى لعبهم بين أذنه وعاتقه، ثم يقوم من أجلي حتى أكون أنا التي أنصرف، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة على اللهو». [متفق عليه].

أليس هذا تغيراً للحياة الرتيبة، رسول الله ﷺ يعلم أن الحبشة سيلعبون بحرابهم، فينادي عائشة لتنظر إليهم وينتظرها حتى تمل وتدخل حجرتها.

فهو يفكر بها ويحب إدخال السرور عليها ويغير من حياتها ويريها شيئاً جديداً في حياتها ويصبر عليها وينتظرها حتى تنتهي فهل فكر أحدنا بمثل هذا العمل من أجل زوجته ليبعد عنها الملل والحياة الرتيبة.

لذلك على الزوج المسلم أن يعمل دائماً على تجنب أسباب السأم في حياته الزوجية، فإنه ليس أثقل على النفس من حياة يشيع فيها الملل والتكرار والرتابة.

إن نزهة صغيرة كل أسبوع، أو مفاجأة بسيطة، أو هدية متواضعة، أو رحلة سنوية لبضعة أيام أو ما شابه ذلك قد تدخل السرور على قلب زوجته بما لا يخطر على بال الزوج.



الخاتمة

الزواج المبارك هو الزواج الذي رسمه الإسلام وبينه القرآن وشرحه النبي العدنان ﷺ.

الزواج المبارك هو زواج شاب مؤمن صادق بفتاة مؤمنة صادقة قد تربى كل منهما تربية صالحة في الأسرة الصالحة أولاً ثم عند المربين والعارفين الصادقين ثانياً، فكان كل منهما نموذجاً صالحاً للمؤمن والمؤمنة الحق الذي يتقيد بالشرع ويتمسك بالدين عقيدة وفكراً وعلماً وعملاً ومعاملة وتطبيقاً وأخلاقاً وسلوكاً في كل مجالات الحياة.

لا يتأثر أي منهما بعادات وتقاليد وعرف خارج عن الشرع ولا يهم رضى الناس بقدر سعيهم إلى رضاء الله ورسوله ﷺ لا يتأثر بمن حوله وما حوله، قد قيده الشرع بأحكامه وانساق في تطبيقه عن رضى وقناعة لأنه من الله ورسوله ومؤداه إلى سعادة الدارين.

الزواج المبارك هو زواج عن قناعة إيمانية قبل الحب العاطفي، هو ارتباط وجه إليه سبحانه في قرآنه وأرشد إليه النبي ﷺ في أحاديثه وسيرته.

الزواج المبارك هو الرضى بما قسمه الله في البداية إلى النهاية، رضى عن الزواج، ورضى أثناء الزواج، ورضى بعد الزواج، رضى بالواقع المقسوم وصبر عليه فيما يكون.

الزواج المبارك ليس فيه خلافات ولا مشاكل، فيه توقع لاختلاف الرأي، ولكن سرعان مايتنازل الأول للآخر، بالحوار بين حبيبين، ومؤمنين صادقين.

لا يعلم بذلك قريب ولا بعيد، ولا يرى فيها إلا كل توافق ومحبة وأنس وسعادة.

الزواج المبارك مثال للزواج الإيماني يضرب به المثل ويشتهى من جميع البشر.

الزواج المبارك سعادة لا توصف، ومودة في أعلى معانيها وحياة في أبهى جمالها، وسرور في أعلى مستوياته لأنه على درب الله، وفيما يحب الله، وعلى شرع الله.

الزواج المبارك طمأنينة لا اضطراب فيه، وسعادة لا تعاسة فيه، وتفاهم لا اختلاف فيه، ورضى لا سخط فيه، ومحبة لا فراق فيه، وتكامل لا نقص فيه.

الزواج المبارك لا يسمح للآخرين بالتدخل فيه، ولا إيجاد الخلافات بين جنبيه.

الزواج المبارك تفاهم مع الجميع، أهل الزوج وأهل الزوجة، والكل متفاهمون، متحابون، كل يعرف واجباته تجاه الآخر فيؤديها، ويعرف حقوقه فتأتي إليه طوعاً لا كرهاً، ولا مطالبة ولا سعياً.

الزواج المبارك معرفة الجميع أنه زواج مدى الحياة لا يفكر فيه بالانفصال أبداً، وكل ما يواجهه له حل، وحل مقبول لدى الجميع، لأن الجميع يحملون عقلاً كبيراً، وحكمة بالغة، وحلولاً ممكنة يسعون في ذلك إلى سعادة دائمة، ولا يدعون مجالاً لشياطين الإنس أو الجن في التدخل فيما يخرب البيوت، ويشتت الأسر.

الزواج المبارك يشترك الجميع من أهل الزوج وأهل الزوجة مع الزوجين في تمتين العلاقة السليمة، والاستمرار الدائم، ولا يسمحون للخلافات أن تتسع، ولا لوسوسة الشياطين أن تؤثر.

الزواج المبارك فيه العقل السليم، والقلب الرحيم الذي يسرع لحل كل ما يعترض هذا الزواج.

ـ وأعظم مثال على ذلك ما نتعلمه من رسولنا المصطفى ﷺ عن سهل بن سعد الساعدي قال: جاء النبي ﷺ إلى بيت فاطمة فلم يجد علياً، قال: «أين ابن عمك؟» فقالت: كان بيني وبينه شيء فغاضبني فخرج، فقال ﷺ لإنسان «انظر أين هو؟» فقال هو في المسجد راقد، فجاءه وهو مضطجع، وقد سقط رداءه عن شقه فأصابه تراب، فجعل النبي ﷺ يقول: «قم يا أبا تراب، قم يا أبا تراب»، قال سهل: وما كان له اسم أحب إليه منه. [متفق عليه].

يستيقظ سيدنا علي، الزوج الذي اختلف مع زوجته مؤثراً الخروج إلى المسجد ريثما ينتهي الأمر، يفاجأ برسول الله ﷺ والد زوجته يمسح الغبار عن قدميه ويخاطبه «قم يا أبا تراب»، أي قم إلى زوجتك في منزلك فإنها تنتظرك، ويقوم

الزوج مسرعاً فرحاً بهذا الاسم وهذه الكنية التي سعد بها طيلة حياته واشتهر بها في حياته وبعد مماته، يسرع إلى زوجته فاطمة وكأن شيئاً لم يكن.

- ومرة أخرى وصل إلى سمع سيدنا محمد ﷺ أن خلافاً حدث بين الزوجين الحبيبين، فلما حل المساء رؤي النبي ﷺ وهو يسعى إلى دار ابنته فاطمة الزهراء رضي الله عنها وقد بدا عليه ما انتابه من الهم والقلق، فأمضى وقتاً هناك ثم خرج ووجهه الكريم يفيض بشراً، فقال قائل من الصحابة: يا رسول الله، دخلت وأنت على حال، وخرجت ونحن نرى البشر في وجهك، فأجاب المصطفى ﷺ: «وما يمنعني وقد أصلحت بين أحب اثنين إلي».

- ومرة ثالثة اختلفت فاطمة مع علي وقالت لأشكونك إلى رسول الله ﷺ وخرجت مسرعة ولم يتوان عليٌّ فخرج في أثرها، حتى جاءت أباها فشكت إليه ما أنكرت من زوجها فتلطف الأب النبي ﷺ في ترضيتها وحملها على الرفق بزوجها، والصبر عليه، واحتماله، ولم يتحدث ﷺ مع علي في شيء يؤلمه أو يجرح مشاعره.

فقال علي رضي الله عنه وهو يصحب زوجته إلى بيتها: والله لا آتي شيئاً تكرهينه أبداً.

- ومرة رابعة يدخل النبي ﷺ بيت فاطمة فيراها جالسة في طرف الغرفة وعليٌّ في الطرف الآخر ويشعر أنهما على خلاف، فماذا فعل ﷺ؟ وقف ونادى: «يا عليُّ أقبل إليّ» فأقبل فأوقفه عن يمينه وأخذ بيده ووضعها على صدره الشريف، ثم نادى فاطمة وأوقفها عن يساره ثم أخذ بيدها ووضعها فوق يد علي ثم وضع النبي ﷺ يده على يديهما ونظر إليهما ودعا لهما، بابتسامة الحب فزال ما بهما من خلاف.

عاشت السيدة فاطمة الزهراء عيشة فقر شديد وهي راضية مرضية وكان النبي ﷺ يقول لها:

«يا فاطمة اصبري على مرارة الدنيا لتفوزي بنعيم الأبد».

[انظر إنها فاطمة الزهراء، د. محمد عبده يماني].

هذا الوعي وحسن التصرف الذي رأيناه في رسول الله ﷺ في توعيته لاستمرارية الزواج وإيجاد الألفة بين الزوجين وحل الخلافات بينهما هل يمكن لنا أن نتعلمه ليعيش الأزواج عيشة هنيئة وفي سعادة دائمة.

وعي من الزوج، ووعي من الزوجة، ووعي من والدي الزوج ووعي من والدي الزوجة، مع حسن التصرف في مواجهة شؤون الحياة بين الزوجين يتحقق المطلوب ونصل إلى الهدف ويسعد الجميع.

هكذا نجد في الزواج المبارك عقلاً كبيراً، وحكمة بالغة تسيطر على كل اضطراب في هذا الزواج، فتجعل منه جنة يخيم عليها السلام، ويضمن بقاء الحياة الزوجية في هناء وسعادة على ما يرام.

اللهم ألهم جميع أزواج المسلمين حسن التصرف مع زوجاتهم، وألهم جميع الزوجات حسن التصرف مع أزواجهن، وألهم الآباء والأمهات حسن التصرف مع جميع أطراف هذا الزواج.

وألهم اللهم جميع المسلمين التوفيق والحفظ وسعادة الدارين، واجعلنا اللهم ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

❑ ❑ ❑

الفهرس

❑ ❑ ❑

هذا الكتاب

الزَّواجُ في الإسلام عَقدٌ مُبَارَكٌ بينَ الرّجلِ والمرأةِ، يَحلُّ به كلٌّ مِنهُما للآخر، وَيَبدآن به رحلةَ الحياةِ، متَحابّين متعاونين، متآلفين متسامحين يسكنُ كلٌّ منهما للآخر، وقد صوّر القرآن الكريمُ هذه العلاقة السّامية، تصويراً رائعاً فقال:

«ومِن آياتِهِ أن خلقَ لكُم مِنْ أنفسِكُم أزواجاً لِتَسكنُوا إليها وجَعلَ بينَكُم مودةً ورحمةً» [الروم: ٢١]

إذن هُو الزواجُ الإسلاميُ الذي يحمِلُ في طياتِهِ الدَّعوةَ إلى الفطرةِ السَّليمةِ التي فطرَ اللهُ النّاسَ عليها، بتَحقيقِ السّكينةِ والمودّةِ والرَّحمَة.

وما نراهُ اليومَ من خِلافاتٍ تَعصِفُ بالحَياةِ الزَوجيَةِ وَتُؤدي إلى أبغضِ الحَلالِ إلى الله، ما هُوَ إلا بِسَبَبِ البعدِ عَن توجيهاتِ القُرآنِ الكريمِ والسُّنةِ الشّريفةِ، والتمرُّدِ على الفِطرَةِ السَّليمَة.

هَذا ما دَعانا إلى تقديمِ هَذا الكتابِ الذي يجدُ فيهِ الشّابُ المؤمنُ والشّابةُ المؤمنةُ كلَّ النَّصائحَ والخطواتِ التي تكفلُ لهُم استمرارَ العيشِ مَعَ أزواجِهِم بِسَعادةٍ وَهَناء. ليحقِقوا بذَلك السَّعادةَ في الدّارينِ الدُّنيا والآخِرة

والله الموفق.



للمراسلة: دمشق - سورية - حلبوني - جادة الشيخ تاج

هاتف المكتب: ٠١١/٢٢٤٥٨٢٢ فاكس: ٠١١/٢٢٢٢٦٩٤

هاتف المكتبة: ٠١١/٢٢٢٨٠٧٤ ص.ب: ١٣٤٩٢

E-mail: abualkhair@mail.sy

Website: www.DarAlkhair.com